التفاضل بين مكة والمدينة لبيان أفضل بقاع الأرض

د. عبد الله حسين مقدادي*

تاريخ وصول البحث: ٢٣/ ١٠/ ٢٠٢٤م تاريخ قبول النشر: ٣١/ ١٢/ ٢٠٢٤م

الملخص

حَمَل هذا البحثُ عنوانَ «**التفاضل بين مكة والمدينة لبيان أفضل بقاع الأرض**»؛ وذلك لما له من أهميّةٍ في بيان التمايز بين الأمكنة، حيث تم تفصيلُ المسألة بمنهجٍ علميٍّ بعيدٍ عن الحكم الظاهريِّ على النصوص.

جاءت هذه الدراسةُ في تمهيد وثلاثة مباحث، بيَّن الباحثُ مصطلحاتِ البحث في التمهيد، فيما قام بالتعريف بمكة المكرمة والمدينة المنورة في المبحث الأول والثاني؛ فذكر تاريخَهما وبيَّن فضلهما، وجاء المبحثُ الثالثُ لبيان التفاضل بين مكة والمدينة، وبيان أقوال العلماء وما استدلَّ به كلُّ فريق، وما ذهب إليه المحقِّقون من الفريقين، وخُتم البحث بأهمِّ النتائج التي توصل إليها الباحث.

الكلمات المفتاحية: مكة، المدينة المنورة، التفاضل، المسجد الحرام.

* مدير مكتب إفتاء الكورة.

The difference between Mecca and Medina to show the best places on Earth

By: Abd-Ullah Hussien Meqdadi

Abstract

This research was titled "The Difference Between Mecca and Medina to Show Which Are the Best Places on Earth," due to its importance in showing the distinction between places, as the issue was detailed with a scientific approach far removed from superficial judgment on texts.

This study came in an introduction and three sections. The researcher explained the research terms in the introduction, while the first and second sections defined Mecca and Medina; he mentioned their history and highlighted their virtues. The third section was dedicated to explaining the superiority between Mecca and Medina, detailing the scholars' opinions and the evidence each group presented, as well as the conclusions reached by the investigators from both groups. The research concluded with the most important findings the researcher arrived at.

Keywords: Mecca, Medina, Difference, Al-Masjid Al-Haram.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمَّدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد،

فإنّ التفاضل سنّةٌ ربانيّة وسمةٌ كونية، بها تتمايزُ الأمور وتتفاوتُ القدرات، ومن خلالها تبرز الحكمة وتظهر الرِّفعة في الدرجات، ولذا جعل اللهُ تعالى التفاضل في جُلِّ الأمور، فكان التفاضل في الزمان وفي المكان وفي الأشخاص والكتب المنزلة، ففاضلَ سبحانه وتعالى بين الأنبياء: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، واصطفى من الملائكة والبشر رسلًا، ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، وفارق بين الليالي والأيام أهميةً وقدرًا، فقال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]؛ وفاضل سبحانه بين الشهور مكانةً وذكرًا، فقال تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، ومايز بين الكتب المنزلة حُسنًا وفضلًا، فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، كل ذلك ليبرز صورًا من التفاضل في العبادة وتفاوت بالفضل والمكانة؛ فكان التفاضل بين الأمكنة أمرًا لا يُستهجن وسمةً لا تُستغرب؛ لما بينها من تمايزٍ في السمات ورفعة في المنزلة والدرجات.

مشكلة الدراسة:

مكةُ والمدينةُ هما أفضل بقاع الأرض دون خلاف، ولكن الإشكالية تكمن في درجة التفاضل وبيان سمة التكامل بينهما؛ وذلك لما حباهما اللهُ به من قدسية، ولكثرة الأحاديث الواردة في هذا الشأن التي قد يُلبس على بعض العوام فهمها والجمع بينها، فيُظن للوهلة الأولى أنّ هناك تضاربًا في الروايات أو تناقضًا بين الدلالات، فما هي هذه الأحاديث وما مدى صحتها؟ وهل للعقل مكانة للاستدلال به على هذا التفاضل، وذلك من خلال الجمع بين العقل والنقل؟

من هنا جاءت هذه الدراسة تجيب عن الأسئلة الآتية:

١ـ هل التفاضلُ وقع بين المسجدَين لتفاوت درجة العبادة بينهما على وجه الخصوص، أم أنّ التفاضل للأمكنة على وجه العموم؟

٢ـ هل وقع التفاضلُ في جميع الأمكنة على سواء، أم أنّه اختصَّ بمناطق معينة وأجزاء مخصصة من مكة والمدينة؟

٣ـ هل الروايات التي جاءت في بيان فضل مكة والمدينة هي المهيمنة، أم يمكن الاستدلال من خلال العقل أيضًا؟

٤ـ ما الخصوصية التي امتاز بها كلُّ مكان ـ مكة والمدينة ـ عن غيره؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسةُ إلى بيان أفضل بقاع الأرض، وما امتازت به كلُّ بقعةٍ عن غيرها من البقاع، وفيما يلي أبرز هذه الأهداف:

١ـ تهدف هذه الدراسة لبيان أفضل بقاع الأرض ثم الذي يليه في الفضل.

٢ـ تهدف هذه الدراسة للتوفيق بين الروايات من خلال العقل والنقل في بيان درجة التفاضل بين مكة والمدينة.

٣ـ تهدف هذه الدراسة إلى بيان ما امتاز به كلُّ مكانٍ عن غيره من الأماكن وما انفرد به.

٤ـ تهدف هذه الدراسة إلى بيان أن التفاضل وقع في أمكنةٍ محددةٍ وأجزاءٍ مخصَّصةٍ لم يقع في جميع الأمكنة.

الدراسات السابقة:

١ـ **فضائل مكة والمدينة والقدس الشريف**، محمد عبد الله اليمني: بحث محكم، نشر في ٢٨ يوليو، **٢٠٢٣**م، حيث تكلم فيه عن فضائل هذه الأمكنة دون التعرض للترجيح على وجه الخصوص، فذكر فضلَ مكة وأنها أفضل البقاع، وفضل المدينة المنورة وأنها تليها في الفضل، وفضل القدس والمسجد الأقصى، دون أن يرجِّح بينها في الفضل.

٢ـ **فضائل البلد الحرام وأحكامه**، إعداد: إسراء بنت إبراهيم بن منصور، مجلة كلية الدراسات والبحوث الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية. وقد تناول البحثُ تعظيمَ الله للبلد الحرام، وتاريخ مكة حرسها الله تعالى، واختصاص البلد الحرام بأحكام فقهية. ولم يتناول المفاضلة بين مكة والمدينة مطلقًا.

وقد جاء هذا البحثُ مغايرًا البحثين السابقين من حيث الدلالة والهدف، فجاءت هذه الدراسة للوقوف على التفاضل بين الأمكنة والترجيح بين الروايات وتأصيل المسائل وتأطيرها.

منهج الدراسة:

استخدم الباحثُ في هذه الدراسة المناهج الآتية:

١ـ **المنهج الاستقرائي**: حيث قام الباحثُ باستقراء الأحاديث الواردة في فضل مكة والمدينة ووقف عليها، كما وقف على أقوال العلماء، وضبطها وعنوَنَ لها.

٢ـ **المنهج التحليلي**: بعد الاستقراء قام الباحثُ بالوقوف على أقوال العلماء، فحلَّلها وجمع بينها، وذلك بالنظر فيما قاله العلماء في هذا الباب.

٣ـ **المنهج النقدي**: بعد تحليل أقوال العلماء للروايات تمَّ نقدُ الأقوال نقدًا علميًّا بعيدًا عن التعصُّب والتجريح، وبيان دلالة الروايات من خلال العقل والنقل الصحيح مع عزوه لقائليه، ثمّ تسجيل النتائج التي تمَّ التوصُّل إليها.

المبحث التمهيدي
التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: تعريف مكة

أولًا: تعريف مكة لغةً

«المِيمُ والكافُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على انتقاء العظم، ثمّ يُقاسُ على ذلك. يقولون: تمَكَّكت العظم: أخرَجت مُخَّه. وامتكَّ الفصيلُ ما في ضرع أُمِّه: شَرِبه. والتّمكُّك: الاستقصاءُ... ويقال: سُمِّيت مكّةَ لقِلّة الماء بها، كأنّ ماءها قد امتُكَّ. وقيل: سُمِّيت لأنّها تمُكُّ مَن ظَلَم فيها، أي: تُهلِكه وتقصِمُه كما يُمكُّ العظمُ»[١].

فدلالةُ اللفظ واضحةٌ مبنيّةٌ على القصم والإهلاك والاستقصاء، وجميعها تدورُ في فلك واحد، فقلّةُ الماء ذهابُه وهلاكُه واستقصاؤه، ومن هنا كان هذا المصطلحُ للدلالة على هذا المكان ـ مكّة ـ يعني: هلاك الشخص ونهايته، فهي تقصم الجبابرةَ وتهلكهم وتُقصيهم، ومن هنا كان سبب التسمية، فالاسمُ موافقٌ للمُسمَّى، وقام بالقصد الذي سُمِّي لأجله على أجمل وصفٍ وأبهى صورة.

ثانيًا: تعريف مكة اصطلاحًا

مكة المكرمة: «هي البلدةُ المعظَّمةُ سمّاها الله تعالى في القرآن الكريم بأربعة أسماء: مكة، والبلدة، وأم القرى، وفيها المسجد الحرام والكعبة»[٢]، فهي بلدُ الله وحرمُه ومهبطُ وحيه، وقد ورد لها أكثرُ من أربعة أسماءٍ نحو: بكة، والبلد الأمين، والبلد الحرام، وغيرها من الأسماء.

المطلب الثاني: تعريف المدينة

أولًا: تعريف المدينة لغةً

قال ابنُ فارس: «الميمُ والدّالُ والنونُ ليس فيه إلّا مدينةٌ، إن كانت على فَعِيلةٍ، ويجمعُونها مُدُنًا. ومدَّنْتُ مدينةً»[٣]. وقال ابنُ منظور: «والمدينة: الحصنُ يُبنى في أُصطُمّة

الأرض، مُشتقٌّ من ذلك. وكلُّ أرض يُبنى بها حِصنٌ في أُصطُمّتها فهي مدينةٌ... ويقال للأَمة: مَدينةٌ أي مملوكةٌ»[٤]، فالمدينةُ قديمًا بقعةٌ جغرافيّةٌ لها حدودها الطبيعية محاطة بسورٍ يمنعها من الأعداء.

ثانيًا: تعريف المدينة اصطلاحًا

«هي عَلَمٌ على مدينة الرسول ﷺ، وهو عَلَمٌ بالغلبة لا بالوضع، ولا يجوز نزعُ الألف واللام إلا في نداءٍ أو إضافةٍ»[٥]، فمصطلح المدينة بالتعريف يُطلَق على مدينة رسول الله ﷺ، وهي يثربُ قديمًا.

المطلب الثالث: تعريف التفاضل

أولًا: تعريف التفاضل في اللغة

يقول ابنُ فارس: «الفاءُ والضّادُ واللامُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على زيادةٍ في شيءٍ. من ذلك الفضلُ: الزيادةُ والخير. والإفضالُ: الإحسانُ. ورَجلٌ مُفضِلٌ. ويُقال: فَضَل الشَّيءُ يَفضُل، وربَّما قالُوا: فَضِلَ يَفضُل، وهي نادرة. وأمّا المُتفضِّل فالمُدَّعي للفَضلِ على أضرابه وأقرانه»[٦]، ويقول ابنُ منظور: «والتفاضُل: التَّمازي في الفَضل. والتَّفاضُل بين القوم: أن يكونَ بعضُهم أفضلَ من بعضٍ»[٧]، فتكون دلالةُ هذه اللفظة مبنيّةً على الزيادة والتمايز في الشيء على غيره.

ثانيًا: تعريف التفاضل في الاصطلاح

من خلال الوقوف على المعنى اللغويّ يمكن القول: إنّ التفاضُلَ هو التمايزُ بين أمرَين فأكثر بسماتٍ يفضل أحدهما الآخر، أو هو الزيادة في الفضيلة على الغير، وذلك من خلال الرِّفعة في الدرجة، أو العلوّ في المنزلة، أو المزية الحسنة.

المبحث الأول
تاريخ مكة المكرمة وبناؤها

يرجع تاريخُ مكـة المكرمـة إلى غابـر الأزمنة مـع ميلاد البشـرية جمعاء، فهـي مرتبطةٌ بالمسـجد الحرام من حيث البناء والزمان، فمسجدُها أفضلُ المساجد تضعيفًا وأجرًا، وأوَّل المسـجدَين إعمارًا ووضعًا، وثاني القبلتَين للصلاة فرضًا ونفلًا، ومعالمها وسـاحاتها محطُّ أنظار القاصدين، حيث فيها تُضاعف الحسنات وتُرفع الدرجات وتُنال المقاصد والرغبات، مَن هَمَّ فيها بمعصيةٍ أذاقه الله عذابًا أليمًا، وألبسه ذلًّا مهينًا، من مِشكاتها خرجت أنوارُ الهداية المحمدية، وعلى ترابها نشأ خيرُ البريّة، وفي فيافيها ترعرع سيِّدُ البشرية ﷺ.

المطلب الأول: تاريخ بناء البيت الحرام

اختلف العلماءُ فيمَن بنى الكعبةَ المشـرفة، وذلك لعمق التاريخ وتباعد الأزمنة واندثار الحضـارات، وذلـك أن بناءَ الكعبة المشـرفة وقع فيه اختلافٌ على أقـوال عدة؛ لعدم وجود الدليـل الصريـح في القـرآن الكريم أو السـنّة المطهَّرة علـى بنائها، ومن هنا تباينـت الأقوالُ واختلفت الآراءُ فيمَن بنى البيت الحرام أوّل مرّة.

فذهب الفريقُ الأوّلُ إلى أن الكعبةَ أُهبطت من السماء عند نزول آدم، ثمّ رفعها اللهُ تعالى عنـد الطوفـان، فقـد ذُكر عن عطـاء، أن عمرَ بنَ الخطـاب، رضي الله عنه، سـأل كعبًا، فقال: أخبِرْني عن هذا البيت، ما كان أمره؟ فقال: «إن هذا البيتَ أنزله اللهُ من السماء ياقوتةً مجوّفةً مع آدم عليه السـلام، فقال: يا آدمُ، إن هذا بيتي فطُفْ حوله وصلِّ حوله كما رأيت ملائكتي تطوف حول عرشي وتُصلِّي، ونزلت معه الملائكةُ فرفعوا قواعدَه من حجارةٍ ثم وُضع البيت على القواعد، فلما غرَّقَ اللهُ قومَ نوحٍ رفعه الله وبقيت قواعدُه»(٨).

وجاء في روايةٍ عن وهب بنِ مُنبِّه، أنّه قال: «لمّا رُفِعت الخيمةُ التي عَزَّى اللهُ بها آدمَ من حِليةِ الجَنّة، حين وُضِعت له بمَكّة في موضعِ البيت، ومات آدمُ عليه السلام، فبَنَى بَنو آدمَ من بعدِه مكانها بيتًا بالطين والحِجارةِ، فلَم يَزَل معمورًا يَعمُرونه هُم ومَن بعدَهم حتى كان زمنُ نوحٍ عليه السلام، فنَسَفه الغَرقُ، وغيَّر مكانَه، حتى بُوِّئ لإبراهيمَ عليه السلام»(٩).

وفـي روايـة عبدِ الله بن عمرو رضـي الله عنهما قال: «لما أهبط اللهُ آدمَ عليه السـلام من الجنـة قـال: إنـي مُهبِطٌ معـك ـ أو: مُنزِلٌ معـك ـ بيتًا يُطـاف حوله كما يُطاف حول عرشـي، ويُصلَّـى عنده كما يُصلَّى عند عرشي، فلما كان زمنُ الطوفـان رُفع، فكانت الأنبياء يحجُّونه ولا يعلمون مكانه، حتى بوّأَه الله إبراهيم، وأعلمَه مكانَه، فبناه من خمسة أجبُلٍ»(١٠).

جـاءت هـذه الرواياتُ الثـلاثُ بأخبـارٍ موقوفةٍ غير مُسـنَدة للنبـيِّ ﷺ، فالرواية الأولى والثانية جاءتا من طريق أهل الكتاب، ولا دليل عليهما في السنة النبوية، حيث يُلحظ عليهما التناقـض والاختـلاف، ففي رواية كعبٍ: أنهـا نزلت ياقوتة مجوّفة رُفعـت عند الطوفان، في حين جاءت رواية وهبٍ: خيمة من حلي الجنّة ولم تُرفع، وبُني مكانها الكعبة المشرفة التي أخذهـا الطوفـان، في حين جاءت روايـةُ ابن عمرٍو موقوفةً عليه، وكانـت الدلالة اللفظية أن البيت أُنزل مع آدم ورُفع عند الطوفان، ولم يرد ذِكرُه بالأوصاف التي ورد بها في رواية كعبٍ ووهبِ بن مُنبِّه أنها خيمة أو ياقوتة مجوفة، وعليه؛ فلا نستطيع أن نجزم بهذا القول.

القول الثاني: في حين ذهب أصحابُ هذا القول الثاني: إلى أنّ مَن بنى الكعبةَ المشرَّفةَ هم الملائكة، واستدلّوا على ذلك ببعض الأثر، فقد ذكر الأزرقيُّ في «أخبار مكة» عن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، حينما جاء رجلٌ من أهل الشام يسأله عن بناء البيت الحرام وكيف وُضع، فقال: «إنّ الله سبحانه وتعالى بَعَث الملائكةَ فقال لهُم: ابنُوا لـي بيتًا في الأرض بمِثاله وقَدرِه، فأمَر الله سـبحانه مَن فـي الأرض من خَلقِه أن يَطوفوا بهذا البيت، كما يطوفُ أهلُ السماء بالبيتِ المَعمور، فقال الرجلُ: صَدَقتَ يا ابنَ بنتِ رسول الله ﷺ، هكذا كان»(١١). يعني بمِثالِه وقَدرِه: البيت المعمور الذي في السماء.

فهـذه الروايةُ تشـير بشكلٍ واضحٍ إلى أنّ الملائكةَ عليهم السـلام هـم الذين قاموا ببناء الكعبة المشرَّفة، ولكن هذا الخبر جاء من طريق مُرسَلةٍ، وليس متَّصلًا بالسند عن رسول الله ﷺ، فلا يُعوَّل عليه في الحكم.

كمـا اسـتدلّوا برواية أنـسِ بن مالكٍ رضي الله عنه، أن رسـول الله ﷺ قال: «كان موضعُ البيت في زمن آدمَ شبرًا، أو أكثر علمًا، فكانت الملائكة تحجُّه قبل آدم، ثم حجَّ آدمُ فاستقبلَته الملائكـةُ فقالـوا: يـا آدمُ، من أين جئـتَ؟ قال: حجَجـتُ البيت، فقالوا: قـد حجَّتْه الملائكةُ قبلَـك»(١٢)، وقـد ذكـر الأزرقيُّ فـي «أخبار مكة» روايـةً لابن عباسٍ ولأبـي هريرة رضي الله عنهما يذكر فيها أن آدمَ عليه السلام حجَّ إلى البيت الحرام(١٣)، فهـذه الروايةُ وغيرها تُبيِّن أن آدمَ عليه السلام حجَّ البيت، ولكن لم تُبيِّن مَن الذي بنى البيتَ، هل هم الملائكةُ أم أنّه أُنزل من السماء أم أن آدمَ هو الذي بنى البيتَ ثم حجَّ بعد ذلك؟

كما احتجَّ أصحابُ هذا القول برواية سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «طاف آدمُ بالبيت سبعًا حين نزل ثم صلَّى وجاءَ باب الكعبة ركعتَين، ثم أتى المُلتزم، فقال: اللهمَّ إنكَ تعلمُ سريرتي وعلانيتي، فاقبَلْ معذرَتي»(١٤)، وفي هذا دلالةٌ على أن البيتَ الحرامَ كان موجودًا قبل خَلقِ آدمَ عليه السلام، ولكن الرواية لم تُبيِّن مَن الذي بنى البيت أيضًا وكيف تمَّ بناؤه. **وعليه**: فلا نستطيعُ الجزمَ بهذا القول؛ لأنّ الخبرَ الذي صرَّح بالبناء جاء مقطوعًا ولم يأتِ متصلَ السند.

القول الثالث: وذهب الفريقُ الثالثُ إلى أن الذي بنى البيتَ هو آدمُ عليه السلام، واستدلّوا على ذلك برواية عبدِ الله بن عمرو بن العاص، قال: قال النبيُّ، صلى الله عليه وآله وسلم: «بَعَث اللهُ جِبريلَ عليه السلام إلى آدمَ وحوّاءَ، فقال لهما: ابنِيا لي بِناءً. فخَطَّ لهُما جِبريلُ عليه السلام، فجَعَل آدمُ يَحفِرُ وحوّاءُ تنقلُ حتى أجابَه الماءُ، نُودِي من تحتِه: حسبُكَ يا آدمُ. فلمّا بَنَياه أوحى اللهُ تعالى إليه أن يَطُوفَ به، وقيل له: أنتَ أوَّلُ النّاس، وهذا أوَّلُ بيتٍ. ثم تناسَخَت القرونُ حتى حَجَّه نوحٌ، ثم تناسَخَت القرونُ حتى رَفَع إبراهيمُ القواعدَ منه»(١٥). قال ابنُ كثيرٍ: «وهو ضعيفٌ، ووَقفُه على عبد الله بن عمرٍو أقوى وأثبتُ»(١٦).

كما استدلّوا بروايةٍ ثانيةٍ عن عطاء قال: «أُهبط آدمُ بالهند، فقال: يا ربِّ ما لي لا أسمعُ صوتَ الملائكة كما كنتُ أسمعُها في الجنة؟ فقال له: بخطيئتك يا آدمُ، فانطلِقْ فابْنِ له بيتًا فتطوف به كما رأيتَهم يتطوفون، فانطلق حتى أتى مكّةَ، فبنى البيتَ، فكان موضعُ قدمَي آدم قُرى وأنهارًا وعمارة، وما بين خُطاه مفاوز، فحجَّ آدمُ عليه السلام البيتَ من الهند أربعين سنةً»(١٧).

وهذا القول جاء بروايتَين ضعيفتَين؛ **الأولى** مرفوعةٌ إلى النبيِّ ﷺ، وقد أشار علماءُ الحديث إلى ضعفها، **والثانية** مرسلةٌ عن عطاء، وهو تابعي، ومعلوم أن الحديثَ المرسلَ ضعيف، ولذلك لا يمكن أن نجزم بهما في أن آدمَ عليه السلام هو مَن بنى الكعبةَ المشرفة.

القول الرابع: أن الذي بناه إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام، واستدلّوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، والردُّ على ذلك: أن إبراهيمَ عليه السلام رفع القواعدَ التي كانت موجودةً في الماضي، ثم درَسَت لتعاقُب السنين، فعنِ ابنِ عباسٍ قال: رَفَع القواعدَ التي كانت قواعِدَ البيتِ قَبلَ ذلك»(١٨) فهو لم يضَعِ القواعدَ الأولى للبناء، ولكن رَفَع القواعدَ السابقة.

وعليه: فالقولُ الراجحُ في هذه المسألة مما يعسرُ الجزمُ به والاستدلالُ عليه؛ لعدم وجود الخبر الصحيح المتَّفَق عليه، كما يقول الطبريُّ رحمه الله: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذِكرُه أخبر عن إبراهيم خليلِه أنه وابنه إسماعيل، رَفَعا القواعدَ من البيت الحرام. وجائز أن يكون ذلك قواعدَ بيتٍ كان أهبطه مع آدم، فجعله مكانَ البيت الحرام الذي بمكة... وجائز أن يكون كان آدمُ بناه ثم انهدم، حتى رفع قواعِدَه إبراهيمُ وإسماعيل. ولا عِلم عندنا بأيِّ ذلك كان من أيٍّ، لأن حقيقةَ ذلك لا تُدرك إلا بخبرٍ عن الله وعن رسوله ﷺ، بالنقل المستفيض. ولا خبرَ بذلك تقوم به الحجةُ فيجب التسليم لها... ولا هو مما يدلُّ عليه بالاستدلال والمقاييس، فيمثل بغيره، ويُستنبط عِلمه من جهة الاجتهاد، فلا قولَ في ذلك هو أولى بالصواب مما قُلنا»(١٩).

ما يهمُّنا في هذه المسألة: أن ماضيَ هذا البلد ـ مكة المكرمة ـ يمتدُّ إلى عهد آدم عليه السلام بغضِّ النظر مَن الذي بنى البيت ومَن الذي رفع المقام، وأنّ حضارة هذا المكان تمتدُّ إلى غابر الأزمنة.

المطلب الثاني: أسماء مكة المكرمة

ورد لمكةَ المكرمة أسماءٌ متنوِّعة، وكُنًى متعدِّدة في كتاب الله تعالى وسُنّة نبيِّه ﷺ، وهذا بالطبع يدلُّ على علوِّ مكانها ورفعةِ شأنها عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ.

قال النووي رحمه الله: «واعلَمْ أنّ كثرةَ الأسماء تدلُّ على عظم المُسمَّى كما في أسماء الله تعالى، وأسماء رسوله ﷺ، ولا نعلم بلدًا أكثر أسماءً من مكة والمدينة لكونهما أفضل الأرض، وذلك المُقتضية للتسمية»(٢٠)، وقد ورد جُلُّ هذه الأسماء في القرآن الكريم والسنّة المطهرة، فعن مجاهدٍ قال: «هي مَكّة، وهي بَكّة، وهي أُمُّ رَحمٍ، وهي أُمُّ القُرى، وهي صَلاحٌ، وهي كُوثَى، وهي الباسّةُ»(٢١)، والأحاديث في ذلك كثيرة، وفيما يلي بعضٌ من هذه الأسماء وبيان لدلالة معناها:

١ ـ **مَكّة**: وسُمِّيت مَكّةَ «لقلّة مائِها، من قولهم: امتَكَّ الفصيلُ ضرعَ أُمِّه إذا امتَصَّه، وقيل: لأنّها تمكُّ الذُّنوبَ، أي: تذهبُ بها»(٢٢)، وقد جاء هذا الاسمُ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤].

٢ـ **بَكَّـة**: ورد هـذا الاسـمُ فـي قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] ومعنـى بَكّـة كمـا يقـول الطبري: «وأصلُ «البَـكّ»: الزَّحم، يقـال: منـه: «بـكَّ فلانٌ فلانًا» إذا زَحَمه وصَدَمه ـ «فهو يَبُكُّه بَكًّا، وهم يتباكُّون فيه»، يعني به: يَتزاحَمـون ويتصادَمـون فيه، فكأنّ «بَكّـة» «فَعْلَة» من «بَكَّ فلانٌ فلانًا» زَحَمه، سُـمِّيت البقعةُ بفعل المزدحِمين بها»[٢٣]. وعن ابنِ الزُّبير قال: «إنّما سُمِّيَت بَكّة؛ لأنّ النّاسَ يَجيئونَ من كُلِّ جانبٍ حُجّاجًا»[٢٤]، وقيل: «إنّما سُمِّيت بَكّةَ؛ لأنّها تَبُكُّ أعناقَ الجبابرةِ»[٢٥].

وأمـا الدلالـة اللفظيـة والفـروق المعنويـة بيـن مَكّـةَ وبَكّـةَ كما يقـول أهلُ اللغـة، فعن ابن أبي أُنيسةَ قال: «بَكّةُ موضعُ البيتِ، ومكّةُ هي الحَرَمُ كلُّه»[٢٦].

٣ـ **الكعبـة**: وقـد ورد هذا الاسـمُ في قولـه تعالـى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، وسُمِّيت بهذا الاسم لأنها مُكعَّبة، فعن ابن أبي نُجيح قال: «إنّما سُمِّيَت الكعبةَ؛ لأنّها مُكعَّبةٌ على خِلقةِ الكَعبِ، وكان النّاسُ يبنونَ بُيوتَهم مُدوَّرةً تعظيمًا للكعبةِ»[٢٧].

٤ـ **البيتُ العتيق**: وقد ورد هذا اللفظُ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]، وإنما سُمِّيت بذلك؛ «لأن الله أعتقَها منَ الجبابرةِ، فلا يتَجَبَّرُونَ فيها إذا طافوا»[٢٨].

٥ـ **أمُّ القرى**: وقد ورد هذا اللفظُ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، وسُمِّيت بذلك كما يقول الطبري: «لتقدُّمها أمام جميعها، وجمعهـا ما سـواها. وقيل: إنما سُـمِّيت بذلـك، لأن الأرض دُحيت منهـا فصارت لجميعها أُمًّا»[٢٩].

٦ـ **البلدُ والبلدةُ**: قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١][٣٠]، وقوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]: هي مكّةُ[٣١].

٧ـ **البلدُ الأمين**: قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] وسُمِّي بذلك؛ لتحريم القتال فيه[٣٢].

٨ـ **البلـدُ الحـرام، والبيـتُ الحـرام**: قـال تعالـى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، وسُمِّيت بذلك؛ لحُرمة مكّة[٣٣].

٩ـ **رُحْـم وأُمُّ رُحـم**: «بضـمِّ الـراء وإسـكان الحاء المهملـة؛ لأن النـاس يتراحَمون فيها ويتوادعون»[٣٤].

١٠ـ **الحاطِمـة**: «لأنهـا تَحطِـمُ مَن اسـتَخَفَّ بهـا»[٣٥]، «الحاطِمـةُ لحَطمِهـا الملحِدين فيها»[٣٦].

١١ـ **الباسّة**: «فهي تبُسُّهم بَسًّا، أي: تُخرِجُهم إخراجًا إذا غَشَموا وظَلَموا»[٣٧]، وقيل: «لأنها تبسُّ مَن ألحدَ فيها، أي: تحطمُه»[٣٨].

١٢ـ **كُوثَى**: «بضمِّ الكاف وفتح المثلَّثة، باسم موضعٍ بها»[٣٩].

١٣ـ **الناسّة والنسّاسة**: «قيل: لأنها تنسُّ المُلحدَ أي: تطردُه، وقيل: لقلّة مائها، والنسُّ اليُبسُ»[٤٠].

١٤ـ **القادس والمقدسة**: وسُمِّيت هكذا «من التقديس»[٤١].

١٥ـ **المأمون**: لتحريم القتال فيه[٤٢].

المطلب الثالث: فضل مكة المكرمة

جاء بيانُ فضل مكّةَ المكرمةِ في كتاب الله تعالى بأكثر من آيةٍ قرآنية، كما ورد هذا الفضلُ في سُنّة نبيِّه ﷺ، فلا نكاد نقرأ كتابًا من كُتب الحديث إلا ونجده قد بوَّبَ بابًا في بيان فضل مكّةَ والمدينةِ من «صحيح البخاري» مرورًا بـ«صحيح مسلم» إلى كُتب السنن والجوامع، كل هذا لبيان فضل هذه البلاد وعلوّ شأنها وبيان مكانتها عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ وعند المؤمنين. وفيما يلي ذكرُ بعض أهم هذه الفضائل:

١ـ إنّ فيها أوّل بيتٍ وُضع للناس. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

٢ـ إنّها حَرمُ الله وأمنُه. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

٣ـ إنّها أحبُّ بلاد الله إلى الله تعالى، فعن عبد الله بن عديٍّ بن الحمراء رضي الله عنه، أنّه سمع النبيَّ ﷺ وهو واقفٌ على راحلته بمكّةَ يقول: «واللهِ، إنّكِ لخيرُ أرضِ الله وأحبُّ أرضِ الله إلى الله، ولولا أنّي أُخرجت منك ما خَرَجتُ». قال الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»[٤٣].

٤ـ إن اللهَ تعالى اختارها لأعمال الحجِّ دون بقاع الأرض، وهذه خصوصيّةٌ اختصَّت بها مكة المكرمة دون غيرها. قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

٥ـ العبـادةُ فيهـا مُضاعَفـة علـى غيرها من الأماكـن، فعن جابر، أن رسـولَ الله ﷺ قال: «صلاةٌ في مسجدي أفضلُ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضلُ من مئةِ ألفِ صلاةٍ فيما سـواه»، قال في الحاشـية: إسنادُ حديث جابر صحيحٌ، ورجالُه ثقات»(٤٤).

٦ـ إنّها قِبلةُ المسلمين التي ارتضاها اللهُ تعالى لعباده في مشارق الأرض ومغاربها. قال تعالـى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠].

المبحث الثاني
تاريخ المدينة المنورة

هي مَهجَرُ المؤمنين، ومرتعُ العاشقين، ومحطُّ أفئدة السالكين، فيها رياضُ الجنان، ومسكنُ خير الأنام، فعلى ثراها يرقدُ سيِّدُ الأولين والآخرين، ومن ميادينها انطلقت جحافلُ الفاتحين، فهي الحصنُ الحصين والدرعُ المتين، فُتِّحت أبوابها حين أغلقت الأبواب، وشُرِّعت مداخلها حينما سُدّت الطرق، واتَّسع بنيانها ـ رغم ضيق الحال ـ حين ضاقت الدُّنيا بأهلها، للعاشقين لترابها حكاياتٌ يطول سردُها، وللعارفين رواياتٌ وآهاتٌ يعسُر ذِكرُها.

المطلب الأول: بناء المدينة

إذا كانت مكةُ المكرمةُ قد ضربت في أعماق التاريخ مجدًا؛ فإن المدينةَ لا تقلُّ شأنًا عنها وإن كانت ليست مثلَها في الامتداد التاريخي، فقد ذكر أهلُ السِّير أقوالًا فيمن نزل بالمدينة أولًا، وأشهرُها كما يذكره ابن خلدون وهُم العماليق: «وأمّا المدينةُ وهي المسمّاة بيثرب فهي من بناءِ يثرب بن مهلائيل من العمالقة، ومَلَكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما مَلَكوه من أرض الحجاز، ثم جاوَرَهم بنو قيلةَ من غسّان، وغلبوهم عليها وعلى حصونها»[٤٥].

فالتاريخُ يرجع بنا إلى ما بعد طوفان نوحٍ عليه السلام حيث امتداد البشرية الثاني، ومن تلك الحقبة كان تاريخ المدينة، فأوَّلُ مَن سكن أرضَ المدينة في تلك الفترة «عَبيل وهم إخوانُ عاد بن عَوص فيما قاله الكلبي، وإخوان عَوصِ بن إرَم فيما قاله الطبريّ، وكانت ديارُهم بالجحفة بين مكة والمدينة وأهلكهم السيلُ. وكان الذي اختطَّ يثرب منهم هو يثربُ ابن ابائلة بن مُهلهل بن عَبيل»[٤٦]، وإليه نُسبت يثرب.

واستمرَّت هذه الحضارةُ ـ كما يقول ابنُ خلدون ـ إلى أن زحف بنو إسرائيل إلى الشام بعد موسى صلوات الله عليه، «فكان معظمُ حروبهم مع هؤلاء العمالقة هنالك، فغَلَبه يوشعُ وأسَرَه ومَلَك أريحا قاعدةَ الشام، وهي قُرب بيت المقدس ومكانُها معروفٌ لهذا العهد، ثمّ بعث من بني إسرائيل بعثًا إلى الحجاز فمَلَكوه وانتزعوه من أيدي العمالقة ملوكِه، ونزعوا يثربَ وبلادها وخيبرَ»[٤٧].

فكان هذا أول سُكنى اليهود للحجاز بعد العماليق، وكان جميعُهم بزهرة بين الحرّةِ والسافلةِ مما يلي القفّ، وكانت لهم الأموال بالسافلة، ونزل جمهورٌ بمكان يقال له: يثرب بمجتمع السيول؛ سيل بُطحان والعقيق وسيل قناة مما يلي زغابة، وخرجت قريظةُ وإخوتهم بنو هذل، وهم بنو الخزرج والنضير بن النحام ابن الخزرج(٤٨).

ثم نزل أحياءٌ من العرب على يهود، وكان لهم بالمدينة قُرى وأسواق من يهود بني إسرائيل، وابتَنَوا معهم الأطام والمنازل قبل نزول الأوس والخزرج، وهم بنو أنيف حي من بلى، وبنو مرثد حي من بلى، وبنو معاوية بن الحارث بن بهية من بني قيس بن عيلان، وبنو الجذمي(٤٩).

لم تزل اليهودُ الغالبةَ على المدينة، ومكث الأوسُ والخزرجُ معهم ما شاء الله، ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم وبينهم جوارًا وحلفًا يأمن به بعضهم من بعض، فتعاقدوا وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا، فلم يزالوا على ذلك زمانًا طويلًا حتى قويت الأوسُ والخزرج، وصار لهم مالٌ وعدد، فلما رأت قريظةُ والنضيرُ حالَهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم فتنمَّروا لهم حتى قطعوا الحلفَ الذي كان بينهم، وكانت قريظةُ والنضيرُ أعزَّ وأكثر، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم وهم خائفون أن تُجليهم يهود حتى نجم منهم مالكُ بنُ العجلان أخو بني سالمِ بن عوفِ بن الخزرج. فبعث هو وجماعةُ قومِه إلى مَن وقع بالشام من قومهم يخبرونهم حالَهم، ويشكون إليهم غلبةَ اليهود لهم، فأقبل أبو حبيلة في جمع كثيرٍ لنصرة الأوس والخزرج، وعاهد الله أن لا يبرح حتى يُخرج مَن بها من اليهود ويُذلَّهم أو يُصيِّرهم تحت أيدي الأوس والخزرج، فلما فعل ذلك عزَّتِ الأوس والخزرج بالمدينة، واتخذوا الديارَ والأموال، وانصرف أبو حبيلةَ وتفرقت الأوس والخزرج في عالية المدينة وسافلها، ثم دخلت بين الأوس والخزرج حروبٌ عِظام وكانت لهم أيام ومواطن وأشعار، فلم تزل تلك الحروبُ بينهم حتى بعث الله تعالى رسولَه ﷺ فأكرمهم الله باتِّباعه، والأوس والخزرج حيّان يُنسبان إلى قحطان(٥٠).

فتاريخُ المدينة لا يقلُّ شأنًا عن تاريخ مكة المكرمة، فهو يمتدُّ من زمن الطوفان مرورًا بكل تلك الحضارات العابرة منذ ذلك الزمن إلى يومنا هذا.

المطلب الثاني: أسماء المدينة المنورة

كثرةُ الأسماء دليلٌ عقليٌّ على عِظم الشيء وعلوِّ كَعبِه ورفعة شأنه، وهذا ينطبق بتمامه وكماله على مدينةِ رسول الله ﷺ، حيث حملت من الأسماء والأوصاف والكُنى

الشيءَ الكثير، «فعن زيدِ بن أسلمَ قال: قال النبيُّ ﷺ: «للمدينة عشرةُ أسماءٍ هي: المدينة، وطَيبة، وطابة، ومِسكينة، وجَبار، ومحبورة، ويَندَد، ويثرب»(٥١)، وعن عبدِ الله بن جعفر ابن أبي طالب قال: سمى اللهُ المدينةَ: الدارَ والإيمانَ. قال: فجاء في الحديث الأول ثمانية أسماء، وجاء في هذا اسمان، فالله أعلمُ أهما تمام العشرة الأسماء التي في الحديث»(٥٢)، وفيما يأتي ذكرٌ لبعض هذه الأسماء، ولنقف معها بتقصٍّ دون إسهابٍ أو استطراد:

١ـ **يثرب**: جاء هذا الاسمُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وكانوا يسمونها (يثرب) باسم أرضٍ بها، فغيَّر رسولُ الله ﷺ اسمَها وسمّاها (طَيْبة) كراهيةَ التثريب»(٥٣) «وهُو اللَّومُ والتَّعيير»(٥٤) «ورُوي عن النبيِّ ﷺ، أنه كره اسمَها لما في لفظِه من التثريب»(٥٥).

٢ـ **المدينة**: وقد ورد هذا الاسمُ في أكثر من آيةٍ، ومنها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وهو اسمٌ خاصٌّ غلب عليها تفخيمًا لها(٥٦).

٣ـ **الدار**: وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾، قال النووي: «وسُمِّيت الدارَ لأمنها وللاستقرار بها»(٥٧).

٤ـ **طَيْبة وطابة**: وهُما تأنيثُ طَيبٍ وطابٍ، بمَعنَى الطِّيبِ؛ قال: وقيل: هو منَ الطَّيِّب الطّاهِر، لخُلوصِها من الشِّركِ، وتطهيرِها منه(٥٨)، فاشتقَّ لها عليه السلام هذا الاسمَ من الطَّيب(٥٩).

٥ـ **جابِرة والمَجبورةُ**: ذُكر في حديث: «للمدينة عشرةُ أسماءٍ...» سُمِّيت بها؛ لأنها تجبرُ الكسير وتُغني الفقير، وتجبر على الإذعان لمطالعة بركاتها وشهود آياتها؛ ولأنها جبرت البلادَ على الإسلام(٦٠)، كأنها جَبَرَتِ الإيمانَ(٦١).

٦ـ **الحبيبة**: لحُبِّه ﷺ لها، ودُعائه لها(٦٢).

٧ـ **العَذراء**: لأنها لم تُنَل بمكروهٍ(٦٣)، وقد ذكرها ابنُ منظور في «لسان العرب»(٦٤).

٨ـ **المَرحُومة**: سُمِّيت به؛ لأنها دارُ المبعوث رحمةً للعالمين، وبها تنزل الرحمات(٦٥).

٩ـ **المَرزوقة**؛ لأن الله تعالى رزقها أفضلَ الخلق فسَكَنها، أو المرزوق أهلها(٦٦).

١٠ـ **القاصِمةُ**؛ لأنها قَصَمت الكُفرَ أي: أذهَبَته(٦٧) لقصمها كلَّ جبّارٍ عناها وكسر كلِّ متمرِّدٍ أتاها، ومَن أرادها بسوءٍ أذابه الله(٦٨).

١١ـ المِسكينة: اسمُ مَدينةِ النبيِّ ﷺ، قال ابنُ سِيدَه: لا أدري لِمَ سُمِّيت بذلك إلا أن يكونَ لفَقدِها النبيَّ ﷺ»(٦٩).

١٢ـ البُحَيرةُ: قال ابنُ حجر: إنّ البَحرَة من أسماء المدينة النبوية(٧٠)، وهي تصغيرُ البَحرةِ(٧١).

١٣ـ البَرّة: بالتشديد أيضًا لكثرة برِّها لأهلها خصوصًا ولجميع العالَم عمومًا، لأنها منبع الفيض والبركات(٧٢).

١٤ـ يَندَد: وهو إمّا من النَّدِّ وهو الطِّيب المعروف، أو النَّدّ التلّ المرتفع، أو النّادّ وهو الرِّزق(٧٣).

١٥ـ الناجية: لنجاتها من العُتاة والطاعون والدجّال، أو لإسراعها في الخيرات فحازت أشرفَ المخلوقات، ولارتفاع شأنها(٧٤).

المطلب الثالث: فضل المدينة

حبا اللهُ سبحانه وتعالى المدينةَ المنورةَ بعدّةِ أمورٍ وميَّزها بعدةِ سمات، فكانت خيرَ بقاع الدنيا وأحبّها إلى رسول الله ﷺ، أضف إلى ذلك أنها المكانُ الذي ارتضاه اللهُ تعالى ليكون دارًا لإقامة صفيِّه ﷺ حيًّا وميتًا، كما اختارها سبحانه لتكون مهجرَ نبيِّه ﷺ، ومحطَّ نزول وَحيِه وتنزُّل سكينته، وترتيل آياته، ومن فضائل المدينة أيضًا:

١ـ وجود المسجد النبوي الذي تشدُّ إليه الرِّحال: حيث الصلاةُ فيه بألف صلاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجد الحرام»(٧٥).

٢ـ وجود الروضة الشريفة بها: فهي كما أخبر الصادقُ المصدوقُ ﷺ روضةٌ من رياض الجَنّة، فعن عبد الله بن زيد المازني، أن رسولَ الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومِنبري روضةٌ من رياض الجنّة»(٧٦)، ولا توجد هذه الميزةُ إلّا بها.

٣ـ وجود القبر الشريف: الذي حوى الجسدَ الطاهرَ الشريف.

٤ـ أنّها حرمُ الله تعالى: حرَّمها رسول الله ﷺ، كما حرَّمَ إبراهيمُ عليه السلام مكّةَ، فعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «أنّ إبراهيم حرَّمَ مكّةَ ودعا لها، وحرَّمتُ المدينةَ كما حرَّمَ إبراهيمُ مكة، ودعوتُ لها في مُدِّها وصاعها مثلَ ما دعا إبراهيمُ عليه السلام لمكّةَ»(٧٧).

٥ـ محبّةُ دفنِه ﷺ فيها: فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قُبض رسولُ الله ﷺ اختَلَفوا في دفنه، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيتُه، قال: «ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضعِ الذي يحبُّ أن يُدفنَ فيه»، ادفِنُوه في موضعِ فراشِه[٧٨]، قال الترمذيُّ معقبًا على الحديث بعد أن ذكر المتن: هذا حديثٌ غريب، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قِبل حفظه، وقد رُوي هذا الحديث من غير هذا الوجه، فرواه ابنُ عباس، عن أبي بكرٍ الصديق، عن النبي ﷺ أيضًا[٧٩].

٦ـ دعاءُ النبيِّ أن تُحبَّب إليه المدينة كما حُبِّبت إليه مكّة أو أشد من ذلك، فعن عائشة، قالت: قَدِمنا المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسولُ الله ﷺ شكوى أصحابه، قال: «اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حبَّبتَ مكّةَ أو أشد، وصحِّحها، وبارِكْ لنا في صاعِها ومُدِّها، وحوِّل حُمّاها إلى الجُحفة»[٨٠].

٧ـ وجود أماكن يحبُّها رسولُ الله ﷺ، نحو: جبل أُحدٍ الذي يحبُّه رسولُ الله ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ أُحدًا جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه»[٨١]، ومسجد قُباء، فعن أُسيد بن ظهير الأنصاري، وكان من أصحاب النبيِّ ﷺ يُحدِّث، عن النبيِّ ﷺ قال: «الصلاةُ في مسجد قُباء كعُمرة»، قال الترمذي: حديث أسيدٍ حديثٌ حسنٌ صحيح[٨٢].

٨ـ الدعاء لها بتضعيف البركة عن مكّة المكرمة: فعن أنس بن مالك، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اللهم اجعَلْ بالمدينة ضعفَي ما بمكّةَ من البركة»[٨٣].

ومن فضل المدينة كما يقول القسطلاني: «إنّ ترابها شفاءٌ كما أخبر ﷺ، مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعِها من الدجّال وتلك الفتن العظام. وأنه ﷺ أوّل ما يشفعُ لأهلها يوم القيامة، وأن ما كان لها من الوباء والحُمّى رُفع عنها، وأنه بُورك في طعامها وشرابها وأشياء كثيرة... فالمدينة أرفعُ المدن، والمسجد أرفعُ المساجد، والبقعة أرفعُ البقع، قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة»[٨٤].

المبحث الثالث
التفاضل بين مكة والمدينة

«تفضيل بعض الأماكن على بعض، من أن الأماكن والأزمان كلها متساوية، ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفاتٍ قائمةٍ بهما، قال: «ويرجع تفضيلُهما إلى ما يُنيل الله العبادَ فيهما من فضله وكرمه، والتفضيل الذي فيهما أن الله تعالى يجود على عبادِه بتفضيل أجر العاملين فيهما»(٨٥).

اتفق العلماءُ على أن مكةَ والمدينةَ هما أفضل بقاع الأرض، وذلك لما حباهما الله به من فضلٍ في العبادة، وحرمةٍ في المكان، وشرفٍ في نزول الوحي والرسالة، إلا أن العلماءَ اختَلَفوا في التفاضل بينهما على قولين: «فذهب مالكٌ إلى أن المدينةَ أفضلُ من مكّةَ، وبه قال أكثرُ أهل المدينة. وقال الشافعيُّ وأبو حنيفة وأحمدُ في أشهر الروايتين عنه: إن مكةَ أفضلُ من المدينة. ومحلُّ الخلاف المذكور في غير البقعة التي ضمت أعضاءَ المصطفى عليه الصلاة والسلام، فإنها أفضلُ بقاع الأرض والسماء»(٨٦).

المطلب الأول: المدينة أفضل بقاع الأرض

ذهب الفريقُ الأوّلُ من الفقهاء إلى أن المدينةَ أفضلُ بقاع الأرض على الإطلاق، وقد استدلُّوا على ذلك بما ورد من أحاديث تُبيِّن فضلها وعلوَّ مكانها، وبما ذُكر عن بعض الصحابة بهذا الشأن «فذهب مالكٌ إلى أن المدينةَ أفضلُ من مكّةَ، وبه قال أكثرُ أهل المدينة(٨٧)، قال النووي: «وهو قولُ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، وبعض الصحابة»(٨٨).

وقد استدلَّ هذا الفريقُ بما ذهب إليه بمجموعة أدلّةٍ شرعيّةٍ من الكتاب والسنة، وأدلّةٍ عقليّةٍ تُفهم وتُستنبط من خلال تلك الأدلة الشرعية، وفيما يلي بعض هذه الأدلة:

١ـ يقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٠].

فقد نقل مُحيي السنة الإمام البغويُّ عن ابن عباسٍ والحسن وقتادة في تفسير قوله تعالى: «﴿أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾: المدينة، ﴿وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾: مكة، نزلت حين أُمر النبيُّ ﷺ

بالهجرة»[٨٩]، فالمدخلُ الصِّدقُ هي المدينة، والمخرجُ الصِّدقُ هي مكة المكرمة، وتقديم المدخل على المخرج دليلٌ على فضل المدينة على مكة.

كما استدلَّ ابنُ عبد البرِّ رحمه الله بهذه الآية بدلالة عقلية بقوله: «وفيه دليلٌ واضحٌ على تفضيل المدينة؛ لأن الله ابتدأ بها، وكان القياس أن يبتدئَ بمكة؛ لأنه خرج منها قبل أن يدخل المدينة، وأيضًا قد جعل اللهُ لرسوله ﷺ سلطانًا نصيرًا في المدينة ولم يجعله بمكة، ويأبى اللهُ تعالى بكرمه إلا أن ينقل نبيَّه إلا إلى ما هو خير»[٩٠].

ويُجاب على ذلك بأكثر من وجه:

الأول: إنّ الله تعالى ساوى بينهما في الوصف، فوصف المدخلَ والمخرجَ بالصدق، وهذا الوصف لا يعطي مزيةَ فضلٍ لمكان على آخر.

الثاني: ذكر القاضي البيضاويُّ رحمه الله للآية أكثرَ من دلالةٍ وساقها على أكثر من معنى؛ وقدم أولًا: أن يكون المدخل الصدق هو القبرُ، ومخرج الصدق هو البعث بقوله: «﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي﴾ أي: في القبر. ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالًا مرضيًّا، ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ أي: منه عند البعث ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجًا مُلقى بالكرامة»[٩١]، ثم ساق بعد ذلك عدةَ أقوال، ومنها القول الذي استدلَّ به الفريقُ الأول «وقيل: إدخاله مكةَ ظاهرًا عليها وإخراجه منها آمنًا من المشركين. وقيل: إدخاله الغارَ وإخراجه منه سالمًا. وقيل: إدخاله فيما حمله من أعباء الرِّسالة، وإخراجه منه مؤدِّيًا حقّه»[٩٢]، واللفظ يحتمل كلَّ هذه الدلالات.

الثالث: إنّ النبيَّ ﷺ عند خروجه من مكةَ صرح بأنّها أحبُّ بلاد الله إلى الله، وأحبُّ البلاد إلى رسول الله ﷺ، وهي من صيغ التفضيل، فكيف نقول: إنّ المدينةَ أفضل من مكّةَ بنصٍّ ظنيِّ الدلالة؟

وعليه: فالنصُّ القرآنيُّ حمّالُ أوجهٍ يحتمل كل هذا التأويل، كما يحتمل غيرها من الدلالات التي قال بها المفسرون، وعليه: فلا يُعدُّ دليلًا مستقلًّا يصلح للاحتجاج به في هذا المقام.

٢ـ ومما استدل به هذا الفريقُ أيضًا ما رُوي عن رافع بن خديج، أنه كان جالسًا عند منبر مروان بن الحكم بمكة، ومروان يخطب الناس، فذكر مروان مكةَ وفضلها، ولم يذكر المدينة، فوجد رافعٌ في نفسه من ذلك، وكان قد أسن، فقام إليه فقال: أيها ذا المُتكلِّم أراك قد أطنبتَ في مكة، وذكرت منها فضلًا، وما سكتَّ عنه من فضلها أكبرُ، ولم تذكر المدينةَ، وإني أشهدُ لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «المدينةُ خيرٌ من مكّةَ»[٩٣].

وفي روايةٍ أخرى عنه: «المدينةُ أفضل من مكّةَ»[٩٤]، فهذا نصٌّ صريحٌ على تفضيل المدينة على مكّةَ في الفضل والخيرية.

والردُّ على ذلك من وجهَين: **الأول**: أن ما روى الطبرانيُّ من حديث «المدينةُ خيرٌ من مكّةَ» وفي روايةٍ للجندي: «أفضلُ من مكّةَ» وفيه: محمد بن عبد الرحمن الرداد، ذكره ابنُ حبان في الثقات، وقال: كان يخطئ، وقال أبو زرعة: ليِّن، وقال: ابن عدي، روايته ليست محفوظة، وقال أبو حاتم: ليس بقوي[٩٥]، ولذلك لا يعول على هذه الرواية لكونها ضعيفة.

الثاني: «وإن كان نصًّا في التفضيل غير أنه مطلقٌ في المتعلق؛ فيحتمل أنّها خيرٌ من جهة سعة الرزق والمتاجر فما تعين محل النزاع»[٩٦]، فالخيريةُ والفضلُ لها أكثر من وجهٍ، فقد تكون في الرزق، أو في الكسب والمتاجرة وغيرها من شؤون الدنيا.

فهذا الدليلُ الذي احتجَّ به الفريقُ الأوَّلُ لا يصلح الاحتجاجُ به في تفضيل المدينة على مكة؛ وذلك لضعف الخبر من وجهٍ، ولكون الخيرية تُحمل على أكثر من معنًى كما تقدم.

٣ـ وجودُ الروضة الشريفة بها، التي هي روضةٌ من رياض الجنة، كما أخبر النبيُّ ﷺ، فعن عبد الله بن زيد المازني، أن رسولَ الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومِنبري روضةٌ من رياض الجنّة»[٩٧].

ووجهُ الاستدلال كما يقول ابنُ عبد البر: «وقد استدلَّت طائفةٌ من أصحابنا بهذا الحديث على أن المدينةَ أفضلُ من مكّةَ، وركبوا عليه قوله ﷺ: «موضعُ سوطٍ من الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها»»[٩٨].

يقول القسطلاني رحمه الله مستدلًّا على فضل المدينة بوجود الروضة الشريفة فيها: «فلم يبقَ من الترفيع بالنسبة إلى عالمها أعلى مما وصفناه، وهو أنها كانت من الجَنّة، وتعود إليها، وهي الآن منها، وللعامل فيها مثلها، فلو كانت مرتبةٌ يمكن أن تكون أرفعَ من هذه في هذه الدار، لكان لهذه أعلى مرتبة مما ذكرنا في جنسها»[٩٩].

ثمّ يُعلِّل رحمه الله تعالى مبينًا سببَ تفضيل المدينة وجود الروضة الشريفة فيها؛ وذلك بكثرة تردُّده ﷺ فيها وكثرة الخُطا عليها بقوله: «فكان التفضيل لها بأن تردُّده ﷺ في المسجد نفسه أكثر مما في المدينة نفسها، وتردُّده ﷺ فيما بين المِنبر والبيت أكثر مما سواه من سائر المسجد، فالبحث تأكَّدَ بالاعتراض، لأنه جاءت البركةُ متناسبةً لتكرار تلك الخطوات المباركة، والقُرب من تلك النسمة المرتفعة لا خفاء فيه إلا على ملحدٍ أعمى البصيرة،

فالمدينة أرفعُ المدن، والمسجد أرفعُ المساجد، والبقعة أرفعُ البقع، قضية معلومة وحُجّة ظاهرة موجودة»(١٠٠).

وتُدفع هذه الحجة كما يقول الفريقُ الآخر من وجهين؛ **الأول**: وهو الذي ذكره القرافيُّ رحمه الله تعالى بقوله: «فاندفع قولُ الأصل: إن قولَه ﷺ: «ما بين قبري ومِنبري روضةٌ من رياض الجَنّة» إنما يدلُّ على فضل ذلك الموضع لا المدينة»(١٠١)، فالفضل لذات المكان بالخصوص لا لجميع المدينة بالعموم كما يراه القرافي.

والثاني: ما ذكره العراقيُّ رحمه الله بقوله: «ولا حجّةَ لهم في شيءٍ مما ذهبوا إليه، ولا يجوز تفضيلُ شيءٍ من البقاع على شيءٍ إلا بخبرٍ يجب التسليمُ له»(١٠٢). فالعراقي رحمه الله يرى أن التفاضل لا يكون إلا بالدليلِ الصحيحِ لا بالاجتهاد؛ فلا وجودَ للدليل الصحيح الصريح الذي نصَّ بتفضيل المدينة المنورة على مكةَ المكرمة لوجود الروضة الشريفة بها، وأن هذه الأقوال جاءت من باب الاجتهاد ليس إلا.

فوجودُ الروضة الشريفة في المدينة المنورة لا يكون دليلًا كافيًا يستدلُّ به في تفضيل المدينة على مكة، فالحديث لم يُصرِّح بذلك الفضل، وإنما صرَّح بكونه هذا الموقع من رياض الجَنّة، فيكون الاستدلالُ به في الفضل لذات المكان دون غيره.

٤ـ وجودُ القبر الشريف ـ قبر النبي ﷺ ـ هو أفضل بقعةٍ على وجه الأرض بالإجماع. قال القاضي عياضٌ المالكي رحمه الله: «ولا خِلافَ أنّ مَوضِعَ قَبرِه أفضلُ بِقاعِ الأرضِ»(١٠٣)، وكان مالكٌ يقول: «من فضل المدينة على مكة أنِّي لا أعلمُ فيها قبرَ نبيٍّ معروفٍ غيرها»(١٠٤).

وقال الخرشيُّ المالكيُّ رحمه الله: «ومحلُّ الخلاف المذكور ـ في فضل مكة والمدينة ـ في غير البقعة التي ضمت أعضاءَ المصطفى عليه الصلاة والسلام؛ فإنّها أفضلُ بقاع الأرض والسماء»(١٠٥).

فلما كان الإجماعُ منعقدًا على أن قبرَه ﷺ هو أفضل البقاع كان ما حوله يحملُ السمةَ نفسَها في الفضل والشرف والمكانة، وبذلك يثبت الفضلُ للمدينة.

ويردُّ الشوكانيُّ رحمه الله معقِّبًا على ذلك: «وغاية ما فيه أن ذلك الموضعَ ـ القبر الشريف ـ بخصوصه من المدينة فاضلٌ، وأنه غير محلِّ النزاع»(١٠٦)، وهذا لا يحمل الحكمَ لجميع المدينة، بل بخصوص المكانِ لا بعمومِ المدينة.

ومن ذلك أيضًا: «إنما يحتجُّ بقبر رسول الله ﷺ على مَن أنكر فضلَها ـ المدينة ـ أمّا مَن أقرَّ به، وأنه ليس على وجه الأرض أفضلُ بعد مكّةَ منها فقد أنزلَها منزلتَها، واستعمل القولَ بما جاء عن النبيِّ ﷺ في مكّةَ وفيها»(١٠٧).

يقول المقريزيُّ رحمه الله: «إنما يحجُّ بقبر رسول الله ﷺ وبفضائل المدينة، وما جاء فيها عنه ﷺ وعن أصحابه على مَن أنكر فضلَها وجعلها كسائر بقاع الأرض؛ لأن تلك الآثارَ أثبتت فضلَها، وأوضحت موضعَها وكرامتَها. وأمّا مَن أقرَّ بفضلها وعرف موضعَها وأقرَّ أنه ليس على وجه الأرض بعد مكّة أفضلُ منها فقد أنزلَها منزلَها وخرج بها وعَرَف لها حقَّها، واستعمل القولَ بما جاء عن النبيِّ ﷺ في مكّةَ، لأن فضائلَ البلدان لا تُدرك بالقياس والاستنباط، وإنما سبيلُها التوقيف»(١٠٨).

٥ـ إنّ تُربةَ المدينة هي أفضلُ تربةٍ على وجه الأرض، وذلك أن الإنسانَ يُدفن في التربة التي خُلق منها، فعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، قال: مرَّ النبيُّ ﷺ بجنازةٍ عند قبر، فقال: «قَبرُ مَن هذا؟» فقالوا: فلان الحبشي يا رسول الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، سيقَ من أرضه وسمائه إلى تُربته التي منها خُلق». قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد... ولهذا الحديث شواهد، وأكثرها صحيحة(١٠٩).

يقول البغداديُّ تعقيبًا على الحديث السابق: «فدلَّ بهذا القول أنّ الإنسانَ يُدفن في التربة التي خُلق منها من الأرض، كذا النبيُّ ﷺ خُلق هو وأبو بكرٍ وعُمر من تربةٍ واحدة، دُفنوا ثلاثتهم في تربةٍ واحدةٍ»(١١٠).

ومن هنا نجد أن بعضَ التابعين نحو ابن سيرين يقسمُ على أن تربةَ المدينة هي التربةُ التي خُلق منها رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما، روى يزيدُ الجريريُّ قال: سمعتُ ابنَ سيرين يقول: «لو حلفتُ لحلفتُ صادقًا بارًّا غير شاكٍّ ولا مستثنٍ أن الله تعالى ما خلق نبيَّه ﷺ ولا أبا بكرٍ ولا عُمرَ إلّا من طينةٍ واحدةٍ، ثم ردَّهم إلى تلك الطينة»(١١١).

وفي هذا دلالةٌ على أن تربةَ المدينة أفضلُ تربةٍ على وجه الأرض كما يقول الرحيباني: «وموضعُ قبره عليه الصلاة والسلام أفضلُ بقاع الأرض؛ لأنه ﷺ خُلق من تربته، وهو خيرُ البشر، فتربتُه خيرُ التُّرب»(١١٢).

والردُّ على ذلك؛ أن الخصوصيةَ للحجرة المشرَّفة وللقبر الشريف والتُّربة التي دُفن بها دون سائر المدينة.

٦ـ كثرةُ الآثار الواردة في فضل المدينة المنورة، وفيما يلي بعضٌ منها:

١ـ دعاءُ النبيِّ ﷺ أن تُحبَّب إليه المدينة كما حُبِّبت إليه مكّة أو أشد من ذلك.

فعن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: قَدِمنا المدينةَ وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلمّا رأى رسولُ الله ﷺ شكوى أصحابه، قال: «اللهمَّ حبِّب إلينا المدينةَ كما حبَّبتَ مكّةَ أو أشد، وصحِّحها، وبارِكْ لنا في صاعِها ومُدِّها، وحوِّل حُمّاها إلى الجُحفة»(١١٣).

وفي حُبِّه هذا دليلٌ على أفضليتها عند الله تعالى؛ لأن حُبَّه ﷺ موافقٌ لحبِّ ربِّه سبحانه لا ينفكُّ عنه يقول الصالحي: «وأحبُّها إليه أحبُّها إلى ربِّه؛ لأن حبَّه تابع لحبِّ ربِّه. وما كان أحب إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل؟»(١١٤)، ثمّ يعقِّب الصالحي بقوله: «ولهذا سلكتُ هذا المسلكَ في تفضيل المدينة، فقد صحَّ قوله ﷺ: «اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكّةَ أو أشدّ»(١١٥)، وأُجيبت دعوته حتى كان يحرِّك دابَّته إذا رآها من حبِّها»(١١٦).

فطلبُ أن تُحبَّبَ إليه أشدَّ من حبِّ مكّةَ دليلٌ على مكانتها وعلوِّ شأنها عند الله تعالى، «وتكرير دعائه ﷺ بتحبيبه المدينة، والظاهر أن الإجابةَ حصلت بالأول، والتكرير لطلب المزيد»(١١٧).

وممّا يُدلِّل على حبِّه لها محبّة دفنِه بها، فعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: لما قُبض رسولُ الله ﷺ اختَلَفوا في دفنِه، فقال أبو بكر: سمعتُ من رسولِ الله ﷺ شيئًا ما نسيتُه، قال: «ما قبض الله نبيًّا إلّا في الموضع الذي يحبُّ أن يُدفنَ فيه»، ادفنُوه في موضع فراشِه(١١٨)، قال الترمذيُّ معقبًا على هذه الرواية: وقد رُوي هذا الحديث من غير هذا الوجه، فرواه ابنُ عباس، عن أبي بكرٍ الصديق.

ويجاب على ذلك من وجهَين: **الأول:** «وهذا إنما في الدُّعاء في وقوع أحد الأمرين، إما أن يُحبِّبه تعالى المدينةَ كحبِّه ﷺ مكةَ، أو يُحبِّبه المدينةَ أكثرَ من حبِّه لمكّة، ولم يبين لنا أي الأمرين أجيب به دعاؤه، وحبُّ البلد يكون للموافقة وللألفة، وليس في هذا فضلٌ على مكة»(١١٩).

٢ـ الدعاءُ لها بتضعيف البركة عن مكة المكرمة.

ومما استدلَّ به أصحابُ هذا القول ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهُمَّ اجعَل بالمدينة ضعفَي ما بمكّةَ من البركة»(١٢٠)، فالتضعيف بالبركة على مكة دليلٌ على فضل المدينة على مكة.

يقول القسطلانيُّ رحمه الله تعالى في «المواهب اللدنية» تعقيبًا على الحديث السابق: «مع أن دعاءه ﷺ بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكةَ شاملٌ للأمور الدِّينية أيضًا، وقد يُبارك في العدد القليل فيربو نفعُه على الكثير، ولهذا استدلَّ به على تفضيل المدينة»(١٢١).

ويجاب عليه من وجهَين، **الأول**: إنّ هذا الدعاءَ للمدينة بزيادة البركة وهي والله مباركة، وهذا ليس دليلًا على التفاضل، فكما ثبت أنه ﷺ دعا للمدينة فقد ثبت «دعاءُ إبراهيم عليه السلام لمكةَ، وليس في ذلك ما يقتضي تفضيلَها على مكة»(١٢٢). فالدعاءُ بالبركة للمدينة جاء من رسول الله ﷺ، والدعاءُ لمكّةَ جاء من سيدنا إبراهيم عليه السلام، وليس في ذلك مزيد فضلٍ لأحد البلدين على الآخر.

ويجاب على ما استدلَّ به بعدم مزيد الفضل بين الدعاءين بقوله ﷺ: «اللهم إن إبراهيمَ دعاك لمكّةَ، وإني أدعوك للمدينة بمثلِ ما دعاك إبراهيمُ لمكّةَ ومثله معه»(١٢٣)، ما قاله الزرقاني رحمه الله تعالى: «ولا ريبَ أن دعاء النبيِّ ﷺ أفضلُ من دعاء إبراهيم عليه السلام؛ لأن فضلَ الدعاء على قدر فضل الداعي»(١٢٤).

فيما ذهب صاحبُ «تهذيب الفروق» إلى حمل المعنى على إطلاقه، ومن ذلك المدّ والصاع، يقول رحمه الله: «ويرد عليه أنه مطلقٌ في المدعوِّ به، فيحمل ما صرح به في الحديث وهو الصاع والمد، ولا يلزم من أن يبارك لهم في مدينتهم وصاعهم ومدِّهم أن تكون بذلك أفضل من مكة»(١٢٥).

٣ـ إن المدينة تنفي الخبثَ، وفي ذلك مزيدُ فضل(١٢٦).

فعن زيد بن ثابت، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنها طَيبة ـ يعني المدينة ـ وإنها تنفي الخبث، كما تنفي النارُ خبثَ الفضّة»(١٢٧).

ويجاب على ذلك بأكثر من أوجه؛ **الأول**: يقول القرافي: «وهذا الحديثُ لا يقتضي أفضليتها على مكة وليس هو على عمومه، فقد قال تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، فصح أنهم أخبث الخلق وقد كانوا بالمدينة وخرجوا منها، وطلحة والزبير وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبلٍ وعبد الله بن مسعود في عدة أخر، وهم أطيبُ الخلق، فصحَّ بيقين أنه ﷺ لم يعنِ بأن المدينة تنفي الخبثَ إلا في خاصٍّ من الناس وفي خاصٍّ من الزمان، لا عامًّا»(١٢٨).

فنفيُ الخبث يُحمل على الخصوص لا على العموم في الأشخاص والزمان، وخير دليلٍ على ذلك وجود المنافقين بالمدينة في عهد النبيِّ ﷺ مع أنّ المنافقين هم أخبث الناس، وخروج الصحابة الذين هم خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها من المدينة بعد فتح البلاد واتساع رقعة الإسلام، فيُحمل ذلك على آخر الزمان عند خروج الدجّال حيث يكون على أنقابها ملائكةٌ تحرسها.

٤ـ خصوصُ أهل المدينة بالشفاعة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يصبر على لَأْواءِ المدينة وشدّتها أحدٌ من أمتي، إلا كنتُ له شفيعًا يوم القيامة ـ أو: شهيدًا»[١٢٩]، قال القسطلاني: «وهذه خصوصيةٌ زائدةٌ على الشفاعة للمذنِبين أو للعالمين في القيامة، وعلى شهادته على جميع الأمم، فيكون لتخصيصهم بهذا كلِّه علوُّ مرتبةٍ وزيادةُ منزلةٍ وحظوة»[١٣٠].

ويجاب على ذلك: «وهذا إنما في الحضِّ على الثبات على شدّتها وأنه يكون لهم شفيعًا، وليس في هذا دليلٌ على فضلها على مكة، وقد صحَّ أيضًا أنه يشفع لجميع أمته»[١٣١].

فيما حمل القرافيُّ دلالةَ المعنى على وجهين: **أحدهما** «أنه يدلُّ على الأفضل لا على الأفضلية»[١٣٢]، فليس هذا من باب التفضيل ولا يصح أن يكون دليلًا يستدلُّ به على تفضيل المدينة على مكة كما يفهم من كلام القرافي، **وثانيًا**: «أنه مطلقٌ في الزمان، فيُحمل على زمانه ﷺ والكون معه لنصرة الدين، ويعضده خروج الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاته إلى الكوفة والبصرة والشام وغير ذلك من البلاد»[١٣٣].

والوجه الثاني: أنه خاصٌّ في زمن النبيِّ الأكرم ﷺ، وليس مطلقًا في الزمان، فلا يحتجُّ به للتفضيل كما يرى القرافي.

٥ـ إنّ الإيمانَ ليأرزُ إلى المدينة كما تأرز الحيّةُ إلى جُحرها[١٣٤]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن الإيمانَ ليأرزُ إلى المدينة كما تأرزُ الحيّةُ إلى جُحرها»[١٣٥].

معناه «أن الإيمان أولًا وآخرًا بهذه الصفة؛ لأنه في أول الإسلام كان كلُّ مَن خلص إيمانُه وصحَّ إسلامُه أتى المدينة إما مهاجرًا مستوطنًا، وإما متشوِّقًا إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلِّمًا منه ومتقرِّبًا، ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء...، فكان كلُّ ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها إلى زماننا لزيارة قبر النبي ﷺ، والتبرك بمشاهده وآثاره وآثار أصحابه الكرام، فلا يأتيها إلا مؤمن»[١٣٦]، وهذا دليلٌ على فضل المدينة ومكانتها في الإسلام.

ويرد عليه «أن ذلك عبارةٌ عن إتيان المؤمنين لها بسبب وجوده ﷺ فيها حال حياته، فلا عمومَ له في الأزمان، ولا بقاءَ لهذه الفضيلة بعده لخروج الصحابة رضي الله عنهم إلى العراق وغيره، وهم أهل الإيمان، وخبرُ رسول الله ﷺ حقٌّ، فيُحمل على زمان يكون الواقع فيه ذلك تحقيقًا لصدقه ﷺ»(١٣٧).

«وليس في هذا فضلُها على مكة، وهو أيضًا إخبارٌ عن وقتٍ دون وقت، فإنّها اليوم من سنين مضت على خلاف ذلك، فقد جاء هذا الخبر بزيادة كما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإسلامَ بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرزُ بين المسجدَين كما تأرزُ الحيّةُ إلى جُحرها»(١٣٨)، ففي هذا أن الإيمان بين مسجد مكة ومسجد المدينة»(١٣٩)، فلا يكون في ذلك تفاضل بينهما.

٦ـ الترغيب في الإقامة في المدينة عند فتح الأمصار(١٤٠).

وقد استدلُّوا لذلك بما رواه سفيان بن أبي زهير، قال: قال رسول الله ﷺ: «تُفتح الشام، فيخرج من المدينة قومٌ بأهليهم يبسُّون والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ثم تُفتح اليمن فيخرج من المدينة قومٌ بأهليهم يبسُّون، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ثم تُفتح العراق، فيخرج من المدينة قومٌ بأهليهم يبسُّون، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون»(١٤١)، قال في حاشية الكتاب: (يبسُّون) ومعناه: يتحمَّلون بأهليهم، وقيل: معناه يدعون الناسَ إلى بلاد الخصب.

فلم يرغب النبي ﷺ بالإقامة بمكة ولا بغيرها من البلاد، فدلَّ ذلك على فضلها وفضل المجاورة لقبره ﷺ؛ لأن مجاورةَ أهل الخير فيه كل الخير.

ويجاب على ذلك من وجهين؛ **الأول**: «إن ما يفوتهم من الأجر بالانتقال عنها أعظم وأفضل مما ينالونه من الخِصب وسَعة العيش حيث ينتقلون إليه من اليمن والشام والعراق»(١٤٢)، فصاحبُ «تهذيب الفروق» يرى أن البقاء في المدينة أعظم أجرًا مما ينالونه من رغد العيش والسعة في الرزق المادية الملموسة.

والوجه الثاني: «أن المدينةَ أفضلُ لهم من اليمن والشام والعراق وبلاد الرَّخاء ولا شك في هذا، وليس في فضلها على مكةَ، وهذا أيضًا خاصٌّ بمَن خرج منها طلب رخاء أو لغرض دنيا، وأما مَن يخرج عنها لجهادٍ أو شيءٍ من الخير فلا، بل كان خروج الذين خرجوا منها بجهادٍ ونحوه أفضل من إقامتهم بها بدليل أنه ﷺ خرج عنها للجهاد وأمر الناسَ بالخروج معه، وتوعد مَن تخلف بالمدينة لغير عذرٍ، وبعث أصحابَه إلى اليمن والبحرين وعمان

يدعون إلى الإسلام، ويُعلِّمون الناسَ القرآنَ والسُّنن فبطل التعلُّق بهذا الحديث على فضل المدينة على مكة»(١٤٣).

في حين يرى المقريزي أنّ هذا لا يصلحُ لأن يكون دليلًا للتفاضل بين مكة والمدينة؛ لأنّ النصَّ جاء يفاضل بين المدينة وغيرها من المدن دون أن يتطرق لمكة المكرمة، وهذا مما لا شك فيه؛ لأن الإقامة في المدينة خيرٌ من الإقامة في غيرها من المدن، وخصوصًا إذا كانت هذه الإقامة من باب العيش والرفاهية، ولكن إذا كانت الإقامة للجهاد وللرباط، فإنّ الإقامة في تلك البلاد أفضل من الإقامة في المدينة، والدليلُ على ذلك فِعلُ الصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الثاني: مكة المكرمة أفضل بقاع الأرض

ذهب الفريقُ الثاني إلى أن مكةَ هي أفضل بقاع الأرض؛ وهو قول الشافعية وجماهير العلماء، قال النووي: «فمذهبُ الشافعي وجماهير العلماء وأهل مكة والكوفة، أن مكةَ أفضل»(١٤٤). وبه قالت الحنابلة، قال ابن القيم: «الكعبةُ البيت الحرام أفضلُ بقاع الأرض، وأحبُّها إلى الله، وأعظم البيوت وأشرفها وأقدمها»(١٤٥).

وقال القسطلاني: «ومذهب سفيان بن عيينة والشافعي وأحمد ـ في أصح الروايتين عنه ـ وابن وهب ومطرف وابن حبيب ـ الثلاثة من المالكية ـ وحكاه الباجي عن عطاء بن أبي رباح، والمكيين والكوفيين. وحكاه ابنُ عبد البر عن عمر وعليٍّ وابن مسعود وأبي الدرداء وجابر وابن الزبير وقتادة، وجماهير العلماء، أن مكةَ أفضل من المدينة، وأن مسجدَ مكة أفضلُ من مسجد المدينة، لأن الأمكنة تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها مما تكون العبادة فيها مرجوحة»(١٤٦).

ومما احتجَّ به أصحابُ هذا القول:

١ ـ أن مكةَ أحبُّ بلاد الله، وما كان أحب إلى الله تعالى كان هو الأفضل.

فمَن ذهب إلى تفضيل مكةَ احتجَّ بحديث عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه، أنه سمع النبيَّ ﷺ وهو واقفٌ على راحلته بمكة يقول: «والله، إنَّكِ لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أنِّي أُخرِجتُ منك ما خَرَجتُ»، قال الذهبي: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه»(١٤٧). وقال صاحب «عمدة القاري»: «صححه ابن حبان والحاكم والترمذي والطوسي»(١٤٨).

ووجـه الاسـتدلال كما يقول الشـوكاني: «(إنَّكِ لخيرُ أرض الله» فيـه دليلٌ على أن مكةَ خيرُ أرض الله على الإطلاق وأحبها إلى رسـول الله ﷺ، وبذلك اسـتدلَّ مَن قال: إنها أفضل من المدينة»(١٤٩).

ويُحمل المعنى على قوله ﷺ: «إنك لخيرُ أرض الله» كما يقول القسطلاني: «على بَدءِ الأمـر قبـل ثبوت الفضل للمدينـة، وإظهار الدِّيـن، وافتتاح البلاد منها حتى مكـة، فقد أنالها وأنـال بهـا مـا لم يكن لغيرها مـن البلاد، فظهر إجابـة دعوته، وصيرورتها أحـب مطلقًا بعد، ولهذا افترض اللهُ تعالى على نبيِّه ﷺ الإقامةَ بها، وحثَّ هو ﷺ على الاقتداء به في سُكناها والموت بها، فكيف لا تكون أفضل»(١٥٠).

ويجـاب علـى قوله ﷺ: «وأحبُّ أرض الله إلى الله» كما قال الشـوكاني: «بأن النزاعَ في الأفضل لا فيما هو أحب، والمحبّةُ لا تستلزم الأفضليةَ، والاستنباط لا يقاوم النص»(١٥١). فحَملُ الفضيلةِ لمكّةَ على المدينة من خلال هذه الرواية من باب الاستنباطِ لا من باب النصِّ القطعيِّ الدلالة والثبوت.

٢ـ أن الأمكنةَ تتشرَّفُ بفضل العبادة فيها على غيرها، فمكةُ أفضلُ البقاع لفضل العبادة فيها.

واسـتدلّوا على فضل مكةَ بما رواه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «صلاةٌ في مسـجدي هذا أفضلُ من ألف صلاةٍ فيما سـواه من المسـاجد إلا المسـجد الحرام»(١٥٢)، فهذه الروايةُ مما استدلَّ بها جمهورُ الفقهاء لتفضيل مكةَ على المدينة لتفاضُل العبادة بينهما، «ووجهُ الاستدلال بهذا الحديث أن أفضليةَ المسجد لأفضلية المحلِّ الذي هو فيه»(١٥٣)، فدلّ ذلك على أنّ مكةَ أفضلُ من المدينة.

فبيَّنت ظاهر الرواية فضل الصلاة في المسجد النبوي، وأنّ الصلاة في المسجد الحرام أفضـل منها في المسـجد النبوي، ولكن إذا أمعنتَ النظـر في المعنى وجدتَه يحتمل أكثر من دلالة:

أولًا: إنّ الاستثناء يفيد بأنّ الصلاةَ في المسجد النبويِّ أكثر فضلًا من الصلاة في المسجد الحـرام بـدون ألف، وهـو قول المالكية، قال القاضي عياض: «اختلـف الناسُ في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة. فذهب مالكٌ في رواية أشهب عنه، وقاله ابنُ نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث، أن الصلاةَ في مسجد الرسول أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاةٍ إلا المسجد الحرام، فإن الصلاةَ في مسجد النبيِّ ﷺ أفضل من الصلاة فيه بدون الألف»(١٥٤).

ثانيًا: فيما حمل الفريقُ الثاني الاستثناءَ في الحديث المتقدِّم على ظاهره، وأن الصلاةَ في المسجد الحرام أفضل[١٥٥]، المعنى الثاني الذي يحمله الاستثناء هو؛ أنّ الصلاةَ في المسجد الحرام أفضل وأعظم أجرًا من الصلاة في المسجد النبوي، قال النووي معقبًا على المعنى: «فعند الشافعي والجمهور معناه إلا المسجد الحرام، فإن الصلاةَ فيه أفضل من الصلاة في مسجدي وعند مالك وموافقيه إلا المسجد الحرام، فإن الصلاة في مسجدي تفضله بدون الألف»[١٥٦].

وقد استدلَّ الجمهورُ بما ذهبوا إليه برواية أخرى، فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجدِ الحرام أفضلُ من مئة صلاةٍ في مسجدي»[١٥٧]، قال النووي معقبًا على الحديث: حديثٌ حسنٌ رواه أحمد بن حنبل في مسنده والبيهقي وغيرهما بإسناد حسن»[١٥٨]، يقولُ ابن عبد البر: وهو القول الراجح في هذه المسألة، ثمّ يعقِّب مستدلًّا بهذا القول: «اختُلف على ابن الزبير في رَفعِه ووَقفِه، ومَن رفعه أحفظُ وأثبتُ من جهة النقل، وهو أيضًا صحيحٌ في النظر؛ لأن مثله لا يدرك بالرأي مع شهادة أئمة الحديث الذي رفعه بالحفظ والثقة»[١٥٩].

ثالثًا: إنّ الاستثناءَ يفيد المساواةَ بين المسجد النبوي والمسجد الحرام في الفضل، ويمثِّل العراقي لما ذهب إليه مستدلًّا باللسان العربي بقوله: «فإذا قلت: اليمنُ أفضلُ من جميع البلاد بألف درجةٍ إلا العراق، جاز أن يكون العراقُ مساويًا لليمن، وجاز أن يكون فاضلًا وأن يكون مفضولًا، فإن كان مساويًا فقد عُلم فضله، وإن كان فاضلًا أو مفضولًا لم يُعلم مقدار المفاضلة بينهما إلا بدليلٍ على عدة درجات؛ إما زائدة على ذلك أو ناقصة عنه»[١٦٠]، والنص حمّالُ أوجهٍ، ولم يصرح بالدلالة كما يرى العراقي.

بناءً على ما سبق من دلالات، وما صرح به الجمهورُ من روايات تعضدُ ما ذهبوا إليه من تفضيل العبادة في مكة على المدينة وسائر البلاد، فإنّ المفاضلةَ التي وردت في الحديث كانت في العبادة دون الأمكنة كما صرح الحديث بذلك، فعن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجد الحرام»[١٦١]، وعليه يمكن الردُّ على ذلك من أوجهٍ عدّة:

١ـ إنّ التفضيلَ لا ينحصرُ في تضعيف الأجور فقط، بل قد يكون بأمور أخرى.

يقول القسطلاني: «وأما مزيدُ المضاعفة، فأسبابُ التفضيل لا تنحصر في ذلك، فالصلوات الخمس بمِنى للمتوجِّه لعرفةَ أفضلُ منها بمسجد مكة، وإن انتفَت عنها المضاعفة،

إذ في الاتِّباع ما يربو عليها، ومذهبنا: شمول المضاعفة للنَّفل مع تفضيله بالمنزل، ولهذا قال عمرُ رضي الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة، مع قوله بتفضيل المدينة، ولم يُصِب مَن أخذ من قوله بمزيد المضاعفة: تفضيل مكة، إذ غايته أن للمفضول مزيةً ليست للفاضل، مع أن دعاءه ﷺ بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكةَ شاملٌ للأمور الدينية أيضًا، وقد يبارك في العدد القليل فيربو نفعُه على الكثير، ولهذا استدلَّ به على تفضيل المدينة»(١٦٢).

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» عن أم حميدٍ امرأة أبي حميدٍ الساعديِّ أنها جاءت النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إني أحبُّ الصلاةَ معك، قال: «قد علمتُ أنّكِ تُحبِّين الصلاةَ معي، وصلاتُك في بيتِك خيرٌ لك من صلاتك في حُجرتك، وصلاتُك في حُجرتك خيرٌ من صلاتك في دارك، وصلاتُك في دارِك خيرٌ لك من صلاتك في مسجدِ قومك، وصلاتُك في مسجدِ قومك خيرٌ لكِ من صلاتِك في مسجدي»(١٦٣)، فلم يقُل أحدٌ من الفقهاء بأن مساجد الحيِّ خيرٌ من مسجد رسول الله ﷺ، فتُحمل دلالة الحديث على أن تقرَّ المرأة في بيتها وتلزم دارها ولا تخرج إلا للضرورة، فهو أفضلُ وأكملُ عند الله تعالى، ولا يُحمل على تفضيل الأمكنة.

٢ـ إنّ قبرَ النبيِّ ﷺ هو أشرفُ البقاع بإجماع الفقهاء مع أنّه ليس مكانَ عبادة.

قال سلطانُ العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى: «أجمعت الأمةُ على أن موضعَ القبر الشريف أفضل، إذ لا يمكن لأحدٍ أن يعبد اللهَ فيه. وأجاب غيره بأن التفضيل في ذلك للمجاورة، ولذا حرّم على المُحدِث مسّ جلد المصحف لا لكثرة الثواب، وإلا فلا يكون جلدُ المصحف بل ولا المصحف أفضلَ من غيره لتعذُّر العمل فيه»(١٦٤).

فلا يُشترط أن يكون التفاضلُ للعمل، بل قد يكون التفاضل للمجاورة، ومن هنا نفهم فضلَ جنّة عدنٍ على غيرها من سائر الجنان؛ ذلك أن سقفَها عرشُ الرحمن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوسَ، فإنه أوسطُ الجنّة وأعلى الجنّة ـ أراه ـ فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهارُ الجنة»(١٦٥)، وفي رواية عند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «الجَنّةُ مئةُ درجةٍ، ما بين كل درجتَين مسيرةُ مئةِ عام، وقال عفان: كما بين السماءِ إلى الأرض، والفردوسُ أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهارُ الأربعة، والعرشُ من فوقها، وإذا سألتم اللهَ فاسألوه الفردوسَ»(١٦٦).

٣ـ إنّ التفضيل كما يكون بالثواب قد يكون بأمرٍ آخر.

يقول شيخُ الإسلام تقي الدين السبكي: «قد يكون التفضيلُ بكثرة الثواب وقد يكون لأمرٍ آخر، وإن لم يكن عملًا، لأنّ القبرَ الشريفَ ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة

وله عند الله من المحبة، ولساكنِه ما تقصر العقولُ عن إدراكه وليس ذلك لمكان غيره، فكيف لا يكون أفضل الأماكن؟ وليس محل عملٍ لنا؛ لأنه ليس مسجدًا، ولا له حكم المسجد، بل هو مستحقٌّ للنبيِّ ﷺ»[١٦٧].

٤ـ إنّ التضعيفَ لا يختصُّ بالمسجد الحرام الذي كان في زمنه ﷺ، بل يشمل جميعَ الحرم.

يقول العراقي: «بل يشمل جميعَ ما زيد فيه؛ لأن اسمَ المسجد الحرام يعمُّ الكل، بل المشهور عند أصحابنا أن التضعيف يعمُّ جميعَ مكة، بل صحّح النوويُّ أنه يعمُّ جميعَ الحرم الذي يحرم صيده»[١٦٨]، فإذا كان تضعيف الأجور يشمل جميعَ الحرم المكي مع أن الحديث لم يصرِّح بذلك ولم يُشر إليه، مع أنهما متعلِّقان بأمرٍ واحد وهو الأجر والثواب، فلا يكون هذا الحديثُ دليلًا يستدل به على المفاضلة بين مكة والمدينة؛ لأنّ الأجر والثواب والتفضيل والمفاضلة أمورٌ مختلفةٌ عن بعضها، فكيف يكون الحديث دليلًا للاستدلال على فضل مكة على المدينة؟

وعليه؛ فلا يعدُّ التفاضلُ في العبادة وكثرة الثواب سببًا للتفاضل بين الأمكنة؛ لأن كليهما مختلفٌ عن الآخر، ثمّ لم يصرِّح نصٌّ بدلالة قطعية على المفاضلة والتفاضل بسبب العبادة.

٣ـ أن مكة هي أعظم البلاد حُرمةً.

أخرج البخاريُّ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أيّ شهرٍ تعلمون أعظم حُرمةً؟» قالوا: شهرُنا هذا. قال: «أيّ بلدٍ تعلمون أعظم حُرمةً؟» قالوا: ألا بلدنا هذا، قال: «فإن الله حرَّمَ عليكم دماءكم وأموالَكم وأعراضَكم إلّا بحقِّها كحُرمة يومكم هذا من شهركم هذا، ألا قد بلَّغتُ» ثلاثة. كل ذلك يجيبونه: ألا نعم، قال: «ويحكم، أو: ويلكم، لا ترجعُنَّ بعدي كفّارًا، يضرب بعضُكم رقابَ بعض»[١٦٩].

ووجهُ الاستدلال في الحديث «أن جابرًا وابنَ عمر يشهدان أن رسولَ الله ﷺ قرَّرَ الناس على أيِّ بلدٍ أعظم حرمةً فأجابوه بأنه مكّة فصدَّقهم في ذلك، وهذا إجماعٌ من جميع الصحابة في إجابتهم له ﷺ بأنه بلدهم ذلك وهُم بمكة، فمَن خالف هذا فقد خالف الإجماعَ، فصحَّ بالنصِّ والإجماع أن مكةَ أعظم حرمةً من المدينة، وإذا كانت أعظم حرمةً فهي أفضل بلا شك؛ لأن عِظم الحُرمة لا يكون إلا للأفضل»[١٧٠]، فممّا استدلّ به هذا الفريقُ أن مكةَ هي أعظم البلاد حرمة، وما كان كذلك كان هو الأفضل بلا منازع.

ويجـاب عليـه: «أن النبـيَّ ﷺ حرَّمَ المدينـةَ كما حـرَّمَ إبراهيمُ عليه السـلام مكةَ، ودعا فـي صاعهـا ومُدِّها بمثل ما دعا به إبراهيـمُ لأهل مكة، وليس فيه إلا أنه ﷺ حرَّمها كما حرَّمَ إبراهيـمُ مكّـةَ ودعا لها كما دعـا غيرُ إبراهيم لمكة، وليس في ذلـك ما يقتضي تفضيلَها على المدينة، وقد حرَّمَ ﷺ الدماءَ والأعراضَ والأموال، فما دلَّ ذلك على فضل»[١٧١].

فحُرمـة المدينـة لا تختلـف عـن حُرمـة مكةَ شـأنًا وقـدرًا فلا يُقطع شـجرها، ولا يُقتل صيدهـا، يقـول النبـيُّ ﷺ: «إنِّي حرَّمتُ المدينةَ مـا بين لابتَيْها، لا يُقطـع عِضاهُها، ولا يُقتل صيدُها»[١٧٢]، وهذا النصُّ بهذه الصيغة لا يعطي لمكّةَ على المدينة مزيدَ فضل، بل هما في الفضل سـواء، فحرمةُ المدينة لا تقلُّ شـأنًا عن حُرمة مكة، وليس في ذلك ما يقتضي تفضيلَ إحداهما على الأخرى.

ولمـا احتـجَّ عبـدُ الله بن عياش على عمـر بفضل مكة علـى المدينة أنها حَـرمُ الله وأمنُه أنكر عمرُ رضي الله عنه عليه اسـتدلاله بأنّ الفضلَ شـيءٌ والحرمةَ والأمنَ شـيءٌ آخر، «ولذا قـال عمـرُ لعبد الله بن عياش المخزومي: أنتَ القائـل: لَمكّةُ خيرٌ من المدينة؟ فقال عبدُ الله: هي حرمُ الله وأمنُه، وفيها بيته، فقال عمر: لا أقول في حرم الله وبيته شـيئًا، ثم كرر عمرُ قولَه الأول، فأعـاد عبـدُ الله جوابَه، فأعاد له: لا أقولُ في حرم الله وبيته شـيئًا، فأُشـير على عبد الله فانصرف»[١٧٣].

ويجاب على ذلك: «إنّ المشـهورَ من مذهب مالكٍ والشـافعي والجمهور أنه لا ضمانَ في صيد المدينة وشجرها بل هو حرامٌ بلا ضمان»[١٧٤]، ولذلك كان حرمُ مكة أشملَ وأوسعَ من حرم المدينة لما يترتب عليه من ضمان، وهذا فيه مزيد فضلٍ لمكة على المدينة.

٤ـ خصوصيّـةُ مكـةَ ببعض العبادات التي لا تؤدى إلّا بها دون سـائر بقاع الأرض، «فلو لم يكن البلد الأمينُ خيرَ بلاده، وأحبها إليه، ومختارَه من البلاد؛ لما جعل عرصاتها مناسكَ لعبادِه فرض عليهم قصدَها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسـلام»[١٧٥]، فتخصيص فرض الحجِّ بها دون سائر بلاد الدنيا دليلٌ على فضلها وعلوِّ كعبها.

ويستدل أصحابُ هذا القول بوجود الكثير من البقع المباركة بها والتي لا توجد بغيرها، وهـذا بدلالـة الحال يعطيها مزيدَ فضلٍ على غيرها من البلاد، ومن هنا نجد ابنَ القيِّم يصرِّح بفضـل مكـة علـى غيرهـا لوجود هذه الأماكن المقدسـة بهـا، حيث يقول: «ليـس على وجه الأرض بقعةٌ يجب على كل قادرٍ السعيُ إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضعٌ يُشرع تقبيلُه واستلامُه، وتحطّ الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود،

والرُّكن اليماني... وأن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق، ولذلك كان شدُّ الرِّحال إليه فرضًا، ولغيره مما يُستحَبُّ ولا يجب»(١٧٦).

ويجاب على ذلك من أوجهٍ عدة:

فكما أن اللهَ تعالى حبا مكةَ بهذه البقاع المباركة فقد حبا الله تعالى المدينةَ بالروضة الشريفة والقبر الشريف ومسجد قباء والذي تعدل الصلاةُ فيه عُمرة، فعن النبيِّ ﷺ قال: «الصلاةُ في مسجدِ قُباء كعُمرةٍ»، قال الترمذي: حديث أسيد حديث حسن صحيح(١٧٧)، فليس على وجه الأرض بقعةٌ تعدل الصلاة بها عُمرة إلا هذه البقعة مسجد قباء.

كما حباها الله تعالى بجبل أُحدٍ الذي قال فيه ﷺ: أحدٌ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه، «فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه، يقول: خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى خيبرَ أخدمه، فلما قدم النبيُّ ﷺ راجعًا، وبدا له أحد، قال: «هذا جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه» ثم أشار بيده إلى المدينة، قال: «اللهم إنِّي أُحرِّم ما بين لابتَيها، كتحريم إبراهيم مكة، اللهم بارِكْ لنا في صاعنا ومُدِّنا»(١٧٨)، فوجود كلِّ هذه المقدسات في المدينة المنورة وكل هذه البركات جعل منها بقعةً لا تقلُّ شأنًا عن مكة المكرمة.

قال القسطلاني: «وإن أريد من حديث المضاعفة الكعبة فقط، فالجواب: إن الكلام فيما عداها، فلا يرد شيءٌ مما جاء في فضلها، ولا ما بمكةَ من مواضع النُّسك لتعلُّقه بها»(١٧٩)، فبعد أن ساق القسطلانيُّ حديثَ مضاعفة الأجور للمسجد الحرام، بيَّنَ أن الفضلَ للمسجد وأن ما حوله من الشعائر متعلِّقة به في الفضل، وعليه فلا يعدُّ هذا دليلًا لتفضيل مكة على المدينة.

٥ـ ومن خصائصها كونها قبلةً لأهل الأرض كلهم، فليس على وجه الأرض قِبلة غيرها(١٨٠).

يجاب على ذلك: وإن كانت الكعبةُ المشرفة هي قبلة المسلمين فهذا لا يجعل مكةَ أفضل بقاع الأرض لهذا السبب؛ فإن المسجد الأقصى قبلةُ المسلمين الأولى وقبلةُ مَن كان قَبلنا من أهل الشرائع السابقة، ومع ذلك فليس المسجد الأقصى هو أفضل بقاع الأرض باتِّفاق العلماء، وإن كان المسجدُ الأقصى قبلةً أولى لنا ولمَن كان قبلنا من أهل الشرائع السابقة لبعثة النبيِّ ﷺ.

٦ـ ومن خواصِّها أيضًا أنه يحرم استقبالُها واستدبارُها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض(١٨١).

ويجاب على ذلك؛ إنّ هذا الأمر لا يجعل مكةَ أفضلَ من المدينة، فقد نهى رسولُ الله ﷺ عن استقبال بيت المقدس أيضًا، فعن أبي أيوب رضي الله عنه أنه قال: «ما ندري كيف نصنعُ بكَرايِيس مصرَ وقد نهانا رسولُ الله ﷺ أن نستقبلَ القبلتَين ونستدبرَهما، وقال همام: يعني الغائطَ والبولَ»(١٨٢). قال الأرنؤوط في تعليقه بحاشية الكتاب: إسناده صحيح. همام: هو ابن يحيى العوذي، وإسحاق ابن أخي أنس. فهل يجعل ذلك سببًا لتفضيل بيت المقدس على المدينة؟

وقد ذكر الفقهاءُ أمورًا كثيرةً يحرمُ استقبالُها واستدبارُها عند قضاء الحاجة. ومن ذلك كما يقول ابن النقيب: «ولا يبول في جحرٍ، وموضعِ صُلب، ومهبِّ ريح، ومورد، ومتحدّث للناس، وطريق، وتحت شجرةٍ مثمرة، وعند قبر، وفي الماء الراكد، وقليلٍ جارٍ. ولا مستقبل الشمس والقمر، وبيت المقدس، ومستدبرَه»(١٨٣).

٧ـ إنّ المسجدَ الحرام أول مسجدٍ وُضع في الأرض، كما في الصحيحين عن أبي ذرٍّ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن أول مسجدٍ وُضع في الأرض؟ فقال: «المسجد الحرام»، قلتُ: ثم أيّ؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلتُ: كم بينهما؟ قال: «أربعون عامًا»(١٨٤).

ويجاب على ذلك أنه لو كان الأمرُ بالبناء لكان المسجد الأقصى أفضل من المسجد النبوي؛ لأنه وُضع قبله، وهذا لم يقُل به أحد؛ لأن التفاضلَ في البناء وما وُضع أولًا غير التفاضل في الأمكنة التي نحن بصدد الحديث عنه في هذه الدراسة.

٨ـ أنها أمُّ القرى وأصلُها، وما كان كذلك كان الأفضل، يقول ابن القيم: «ومما يدل على تفضيلها أن الله تعالى أخبر أنها أمُّ القرى، فالقرى كلُّها تَبعٌ لها وفرعٌ عليها، وهي أصلُ القرى، فيجب ألا يكون لها في القرى عديل، فهي كما أخبر النبيُّ ﷺ عن (الفاتحة) أنها أمُّ القرآن، ولهذا لم يكن لها في الكتب الإلهية عديلٌ»(١٨٥).

ويجاب على ذلك؛ إنّ آدمَ عليه السلام هو أبو البشر، وإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، ولم يقُل أحدٌ من العلماء: إنهم أفضل الخلق، وأفضل من رسول الله ﷺ، بل إنّ سيِّدنا محمَّدًا ﷺ خاتمُ الأنبياء وآخرُ المرسلين، ومع ذلك هو سيِّد ولد آدم وهو أفضل خلق الله تعالى، وقد صرحت الأحاديث بذلك، وإجماع علماء الأمة على هذا الأمر، ومن هنا بطل القياسُ والاستدلال بهذه الصورة بتفضيل مكة على المدينة؛ لأنها أمُّ القرى وأصلها.

وعليه: فليس هناك نصٌّ صريحٌ يشير أو يثبت تفضيل مكةَ كلها على المدينة، أو العكس تفضيل المدينة كلها على مكة.

المطلب الثالث: الحُجرة الشريفة التي ضمت القبر الشريف هي أفضل بقاع الأرض

عند إمعانِ النظر في هذه المسألة نجد جُلَّ الفريقين متفقين على أمرٍ واحدٍ هو؛ أن هناك مناطق معينةً وأجزاء مخصصة بذاتها أفضل من غيرها في ذات المكان، وأسمى مما سواها في غيرها أيضًا، فحمل هذا القول تفصيلًا في المسألة، وتوضيحًا للإشكال، حيث فرَّقوا بين القبر الشريف والروضة الشريفة وبين سائر المسجد النبوي والمدينة المنورة من جهة، وبين الكعبة المشرفة والمسجد الحرام وسائر الأماكن في مكة المكرمة، فذكروا الأفضلَ ثم الذي يليه في الفضل ثم الذي يليه، وهو قولٌ وجيهٌ جمع بين العقل والنقل بفهمٍ ثاقبٍ وبصيرةٍ حادّة، فجاء هذا القول ـ القول الثالث ـ من خلال تتبُّع الأقوال والوقوف على دلالات التعبير.

ولعلَّ مَن رجَّحَ فضل المدينة على مكة أو رجَّحَ فضل مكة على المدينة انطلق من هذه الجزئية فاستدلَّ بفضل المدينة كلها لوجود القبر الشريف بها فكانت هي الأفضل بقوله، ومَن استدل بفضل مكة على سائر البلاد انطلق من وجود الكعبة المشرفة بها، فكان في هذا القول ـ الثالث ـ شيءٌ من التأصيل والتفصيل، حيث بيَّن درجات التفاضل بين الأمكنة.

ذهب الفريقُ الثالثُ إلى أن القبر الشريف والحجرة الشريفة هما أفضل بقاع الأرض على الإطلاق، مستدلِّين بذلك على الإجماع المنعقد على ذلك ـ فالإجماع دليلٌ معتبَرٌ عند الأصوليين وجمهور الفقهاء ـ، حيث نُقل هذا الإجماع عن القاضي عياض المالكي بقوله: «ولا خِلافَ أنّ مَوضِعَ قَبرِه أفضلُ بِقاعِ الأرضِ»(١٨٦).

ونقل القسطلانيُّ الإجماعَ عن كمٍّ من علماء المسلمين من أهل المذاهب الأربعة المعتبرة عند أهل السنة والجماعة، يقول رحمه الله تعالى: «وأجمَعوا على أن الموضعَ الذي ضمَّ أعضاءه الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض، حتى موضع الكعبة، كما قاله ابنُ عساكر والباجي والقاضي عياض، بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في «فضائل المدينة» عن ابن عقيل الحنبلي أنها أفضل من العرش، وصرح الفاكهانيُّ بتفضيلها على السماوات ولفظه: وأقول أنا: وأفضل من بقاع السماوات أيضا»(١٨٧).

ثمّ يعقِّب بعد أن ذكر ذلك بقوله: «ولم أرَ مَن تعرَّضَ لذلك، والذي أعتقدُه لو أنّ ذلك عُرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه»(١٨٨)، ويريد بذلك إجماعَ العلماء على أن موضعَ قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض.

ووافقه عليه أيضًا الإمامُ النوويُّ الشافعيُّ في «شرح صحيح مسلم»، قال النووي: «قال القاضي عياض: أجمَعوا على أن موضعَ قبرِه ﷺ أفضل بقاع الأرض»(١٨٩)، وقد سبق الإشارةُ إلى كلام القاضي عياضٍ في هذه الصفحة.

ونقل هذا القولَ أيضًا ابنُ كثيرٍ الشافعيُّ بقوله: «نُقل الاتِّفاق على أن قبرَه الذي ضمَّ جسدَه بعد موته أفضل بقاع الأرض»(١٩٠).

وقد نقل هذا الإجماعَ من المالكية الخرشيُّ المالكيُّ بقوله: «ومحلُّ الخلاف المذكور ـ في فضل مكة والمدينة ـ في غير البقعة التي ضمت أعضاءَ المصطفى عليه الصلاة والسلام، فإنها أفضلُ بقاع الأرض والسماء»(١٩١).

كما نقل هذا الإجماعَ من الحنفية ابنُ عابدين بقوله: «والخلافُ فيما عدا موضع القبر المقدَّس، فما ضمَّ أعضاءه الشريفة فهو أفضلُ بقاع الأرض بالإجماع»(١٩٢).

وممَّن نقل الإجماعَ من الحنابلة الرحيبانيُّ الحنبليُّ بقوله: «والكعبة أفضل من مجرد الحُجرة، فأما والنبيُّ ﷺ فيها؛ فلا واللهِ ولا العرش وحملته والجنة، لأنّ بالحجرة جسدًا لو وُزن به سائر المخلوقات لرجح، ويؤخذ من هذا أنّ الحجرةَ الشريفةَ بما فيها من الجسد الشريف أفضلُ من سائر البقاع»(١٩٣).

ولما ذكر صاحبُ «حاشية الجمل» موضعَ الإجماع بيَّنَ سببَه، يقول معقبًا على ذلك: «وأول اختلافٍ وقع بين الصحابة اختلافُهم في دفنِه، فقال عليٌّ رضي الله تعالى عنه: إنه ليس في الأرض بقعةٌ أكرم على الله من بقعةٍ قبض فيها نفس نبيِّه، قال الشريف السمهودي: فهذا أصلُ الإجماع على تفضيل البقعة التي ضمت أعضاءه ﷺ على جميع الأرض حتى الكعبة»(١٩٤)، فالحجرة الشريفة هي المكانُ الذي اختاره النبيُّ الأكرمُ ﷺ ليكون مكانَ إقامته في آخر أيامه ومكان مرقده، ومن تُربتها يكون ومبعثه، فكيف لا تكون أفضلَ بقاع الأرض وأحبَّ بقاع الدنيا على قلبه ﷺ؟

ويُعلِّل تقي الدين المقريزيُّ أن قبره والحجرة المشرفة الأفضل على جميع البقاع في العالم السفليِّ والعلويِّ بقوله: «لما كان ﷺ أفضلَ الرُّسل، وكتابه أفضل الكتب، ودينه أشرف الأديان، وشريعته أشرف الشرائع، وهو أفضلُ الخلق، فوضع قبره له في أشرف المواضع»(١٩٥).

وعليه يمكن الاستدلال لهذا القول من أوجه عدة:

١ـ أنّ النبيَّ ﷺ هو أفضلُ الخلق على الله تعالى، «ولا خلافَ أن موضعَ قبره ﷺ أفضلُ بقاع الأرض، ولا ريبَ أن نبيَّنا ﷺ أفضل المخلوقات، فليس في المخلوقات على الله تعالى أكرم منه، لا في العالم العلويِّ ولا في العالم السفليِّ»(١٩٦). ولذلك كان قبرُه أفضلَ البقاع.

٢ـ نزولُ الرحمات والبركات على تلك البقعة أكثر من جميع بقاع الأرض؛ «لأن قبرَ رسول الله ﷺ ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة، وله عند الله من المحبّة ولساكنه ما تقصر العقولُ عن إدراكه، وليس ذلك لمكانٍ غيره، فكيف لا يكون أفضل؟»(١٩٧).

٣ـ أنّ الحجرةَ المشرَّفةَ هي المكانُ الذي ارتضاه رسولُ الله ﷺ لحياته الدنيوية فكان يُزار به في حياته، وهو ذات المكان الذي ارتضاه النبيُّ ﷺ لنفسه بعد الموت فيزار به، «ولا نُسلِّم أن الفضل للمكان لذاته، ولكن لأجل مَن حلَّ فيه ﷺ»(١٩٨)، فما ضمَّ هذا الجسد الشريف حال الحياة وحال الممات كان أفضلَ البقاع وأكملها.

ففي الحديث عن أوس بن أوسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ من أفضل أيامكم يومَ الجُمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثِروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضةٌ عليَّ»، قال: قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ـ يقولون: بليت ـ؟ فقال: «إن الله عز وجل حرَّمَ على الأرض أجسادَ الأنبياء»(١٩٩)، وقد روى هذا الحديثَ الإمامُ أحمد في «مسنده»، وقال شعيب الأرنؤوط في الحاشية: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح(٢٠٠)، فأرض تضمُّ الجسدَ الشريفَ على الحالة التي قُبض عليها دون أن تأكل منه شيءٌ لهي خيرُ بقاع الدنيا وأجملها.

٤ـ أنّ النبيَّ حيٌّ في قبره، فمَن زاره بعد موته كان كمَن زاره في حياته، وبركة الزيارة من بركة المزور. «فقد تكون الأعمالُ مضاعفةً فيه باعتبار أن النبيَّ ﷺ حيٌّ كما تقرر، وأن أعماله مضاعفة فيه أكثر من كلِّ أحد، فلا يختصُّ التضعيفُ بأعمالنا نحن»(٢٠١).

٥ـ أنّ كل إنسانٍ يُدفن في الموضع الذي خُلق منه، فلما كانت الحجرة الشريفة هي مدفنه ﷺ كانت هي التربة التي خُلق منها كما تقرر، ولما كان ﷺ من تُربتها خُلق وفي تُربتها أُعيد كانت هي خيرَ بقاع الدنيا دون منازع. يقول الرحيباني: «موضعُ قبره عليه الصلاة والسلام أفضلُ بقاع الأرض؛ لأنه ﷺ خُلق من تُربته، وهو خيرُ البشر، فتربتُه خيرُ التُّرب»(٢٠٢).

٦ـ أنّ الحجرةَ المشرفة هي أحبُّ البقاع إلى الله ورسوله. فعن عائشة، قالت: لمّا قُبض رسولُ الله ﷺ اختلفوا في دفنِه، فقال أبو بكر: سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيتُه، قال: «ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يُحب أن يُدفن فيه»، ادفنوه في موضع فراشه(٢٠٣).

يقول القسطلاني تعقيبًا على هذا الحديث: «ولا شكَّ أن أحبَّها إليه أحبها إلى ربِّه تعالى، لأن حبَّه تابعٌ لحُبِّ ربِّه جل وعلا، وما كان أحبَّ إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل؟»(٢٠٤).

ثمّ اختلَفوا في بيان ما يلي القبرَ الشريف والحجرةَ المشرفة في الفضل: فالعدويُّ يرى: «إن مكةَ أفضل من المدينة، ومحلُّ الخلاف فيما عدا الموضع الذي ضمَّ أعضاءه عليه الصلاة والسلام، فإنه أفضلُ من جميع بقاع الأرض حتى الكعبة، ومن السموات والعرش والكرسي واللوح والقلم والبيت المعمور، ويليه الكعبة؛ لأنها أفضلُ من بقية المدينة اتفاقًا»(٢٠٥)، وهذا القول فيه إطلاقٌ دون تفصيل، فإنّ هناك أماكن تتفاضل على بعضها في مكة والمدينة كما ذهب المحقِّقون.

فالطرابلسيُّ يرى أن الكعبة المشرفة هي ما يلي الحجرةَ الشريفة في الفضل قال: «مكةُ أفضل من المدينة بعد إجماع الكلِّ على أن موضعَ قبره عليه الصلاة والسلام أفضل بقاع الأرض... قلت: وينبغي أن يكون موضعُ البيت بعده كذلك»(٢٠٦).

وهو ما اختاره ابنُ عابدين بقوله: «والخلاف في غير البيت، فإن الكعبةَ أفضل من المدينة ما عدا الضريح الأقدس، وكذا الضريح أفضل من المسجد الحرام»(٢٠٧)، فابنُ عابدين جعل القبرَ الشريفَ أفضلَ البقاع ثمّ الكعبة المشرفة ثمّ المسجد الحرام، وهذا هو الأقرب، ولعل الفريقَ الذي ذهب إلى القول بأنّ مكةَ أفضل بقاع الأرض اختار هذا القولَ من باب أن الكعبةَ المشرفة ومسجدَها أفضل من المسجد النبويِّ دون القبر الشريف، وقاسوا عليه فضلَ سائر مكّةَ على المدينة من هذا القياس.

فيما ذهب الخرشيُّ المالكيُّ إلى غير ذلك، فهو يرى أن أفضلَ البقاع هو القبر الشريف، ثمّ الروضة المشرفة ثمّ الكعبة المشرفة التي هي أفضلُ من بقية المدينة ثم المسجد النبوي، ثمّ المسجد الحرام: «فما مسَّ أعضاءَه أفضلُ من جميع بقاع الأرض حتى الكعبة والسموات والعرش والكرسي واللوح والقلم والبيت المعمور، ويليه الروضة، ويليها الكعبة؛ فالكعبة أفضلُ من بقية المدينة اتفاقًا، وأما المسجدان ـ بقطع النظر عن الكعبة والقبر الشريف ـ فمسجدُ المدينة أفضل»(٢٠٨)، فالخرشيُّ يرى أن الروضةَ المشرفةَ أفضل من الكعبة المشرفة،

وأن المسجد النبويَّ أفضل من المسجد الحرام دون الكعبة، وهو قول فيه نظر؛ لأن التفاضلَ في المساجد يكون بفضل العبادة فيها، وفضلُ العبادة في الكعبة أفضل من العبادة في الروضة المشرفة من جهة، وفضلُ الصلاة في المسجد الحرام أفضلُ من الصلاة في المسجد النبويِّ.

النتائج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد،

فبعد هذا الاستعراض لهذه الدراسة في بيان أفضل بقاع الأرض والوقوف عليها؛ فقد خلصت الدراسةُ إلى أبرز النتائج الآتية:

١ـ إنّ تاريخَ مكة المكرمة يمتدُّ إلى أصل البشرية آدم عليه السلام، وإنّ المسجد الحرام يرتبط وجودُه معه من حيث الوجود والشعائر التعبدية من صلاةٍ وطوافٍ ونسك.

٢ـ إنّ المدينة المنورة يمتدُّ وجودُها إلى غابر الأزمنة إلى أبي البشرية الثاني بأحداث ما بعد طوفان نوح عليه السلام.

٣ـ إنّ كثرة الأسماء والمسمَّيات دليلٌ عقليٌّ واضحٌ على مكانة الشيء وعلوِّ قدره ورفعة شأنه، وهذا الأمر عينه مع مكة المكرمة والمدينة المنورة حماهما الله تعالى.

٤ـ كثرةُ الفضائل والأدلة الشرعية التي وردت في فضل مكةَ والمدينة جعل من الصعب تفضيل إحداهما على الأخرى، وهو ما أوقع الخلافَ بين الفقهاء في بيان درجات التفاضل بينهما.

٥ـ إنّ أفضل البقاع على وجه الأرض هي البقعةُ التي ضمَّت جسدَ النبيِّ ﷺ فقبرُه الشريف أفضلُ البقاع؛ لأنه ما وارى الجسدَ الشريف ـ الذي هو أفضل الخلق على الإطلاق ـ فلا بدَّ أن تكون البقعة التي تواري جسده الشريف أفضل البقاع كما هو إجماع العلماء.

٦ـ إنّ الكعبةَ المشرفة هي أفضلُ البقاع بعد الحجرة الشريفة التي ضمَّت جسدَ المصطفى ﷺ؛ وذلك لكثرة الآثار المنقولة على مكانتها وعلوِّ كعبها وحُرمتها.

٧ـ إنّ المسجدَ الحرامَ هو أفضل البقاع إذا استثنينا الحجرةَ الشريفةَ والكعبةَ المشرفة، يليه المسجد النبوي، ثمّ مكة ثمّ المدينة.

٨ـ إنّ تُربةَ المدينة أفضلُ من تربة مكة؛ لأنها التربة التي خُلق منها خير البشر ﷺ وصاحباه رضي الله عنهما، ولاحتوائها على قبر النبيِّ ﷺ وقبر صاحبيه.

٩ـ إنّ الإقامةَ بالمدينة أفضلُ من الإقامة بغيرها من البلاد، فهي التي اختارها رسولُ الله ﷺ عاصمةً لدولته حتى بعد فتح مكة، واختارها الخلفاءُ الراشدون رضي الله عنهم من بعده، وفيها قبور جلِّ الصحبة رضي الله عنهم، وقبور جميع أزواج النبيِّ ﷺ عدا أم المؤمنين خديجة وميمونة بنت الحارث رضي الله عنهما.

١٠ـ إنّ حرمةَ مكةَ أشمل وأوسع من حُرمة المدينة من حيث الضمان في الصيد وعضد الشجر.

المصادر والمراجع

- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت٣٢٧هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية، الثالثة، **١٤١٩**هـ.

- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت٢٣٥هـ)، **المصنف في الأحاديث**، دار الفكر، بيروت، د.سنة.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، **١٩٩٤**م.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١هـ)، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم (ت٣٨١هـ)، **المعجم**، ت: عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر، الأولى، **١٩٩٨**م.

- ابن النّقيب، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله (ت٧٦٩هـ)، **عمدة السالِك وعِدة النّاسِك**، ت: عبد الله الأنصاري، الشؤون الدينية، قطر، الأولى، **١٩٨٢**م.

- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)، **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، ت: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الثانية، **٢٠٠٣**م.

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، **١٣٧٩**هـ.

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد**، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الأولى، **٢٠٠١**م.

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت٨٠٨هـ)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الثانية، **١٩٨٨**م.

- ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري (ت٢٦٢هـ)، **تاريخ المدينة لابن شبة**، ت: فهيم شلتوت، جدة، **١٣٩٩**هـ.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم (ت٤٦٣هـ)، **الاستذكار**، ت: سالم عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، **٢٠٠٠**م.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم (ت٤٦٣هـ)، **الدرر في اختصار المغازي والسير**، ت: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الثانية، **١٤٠٣**هـ.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني (ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، **الفصول في السيرة**، ت: محمد الخطراوي، مؤسسة علوم القرآن، الثالثة، ١٤٠٣هـ.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٩٨٨م.

- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، **سنن ابن ماجه**، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربي، بيروت.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ.

- أبو البقاء، محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي (ت٨٥٤هـ)، **تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف**، ت: علاء إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ٢٠٠٤م.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد (ت٢٥٠هـ)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، ت: محمد زهير، دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ.

- البغدادي، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله (ت٣٦٠هـ)، **الشريعة**، عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، الثانية، ١٩٩٩م.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ت: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الرابعة، ١٩٩٧م.

- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت٤٥٨هـ)، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني (ت٤٥٨هـ)، **السنن الكبرى**، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة، ٢٠٠٣م.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة (ت٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**، أحمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، الثانية، ١٩٧٥م.

- الجمل، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري (ت١٢٠٤هـ)، **فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب (حاشية الجمل)**، دار الفكر، د ط، د ت.

- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، ت: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٠م.

- الخرشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي المالكي (ت١١٠١هـ)، **شرح مختصر خليل**، دار الفكر، بيروت.

- الرحيباني، مصطفى بن سعد بن عبده الحنبلي (ت١٢٤٣هـ)، **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**، المكتب الإسلامي، الثانية، ١٩٩٤م.

- الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد (ت١١٢٢هـ)، **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٩٩٦م.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت١٢٥٠هـ)، **نيل الأوطار**، عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الأولى، ١٩٩٣م.

- الصالحي، محمد بن يوسف الشامي (ت٩٤٢هـ)، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، ت: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير (ت٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، ت: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الثانية، ١٩٩٤م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

- الطرابلسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت٩٥٤هـ)، **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، دار الفكر، الثالثة، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

- العدوي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي (ت١١٨٩هـ)، **حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني**، ت: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

- العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت٨٠٦هـ)، **طرح التثريب في شرح التقريب**، دار الفكر العربي، بيروت.

- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين (ت٨٥٥هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرون (ت٥٤٤هـ)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفيحاء، عمان، الثانية، ١٤٠٧هـ.

- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت٦٨٤هـ)، **الفروق**، عالم الكتب، د. ط، د. ت.

ـ القسطلاني، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٩٢٣هـ)، **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

ـ محمد بن علي بن حسين (١٣٦٧هـ)، **تهذيب الفروق والقواعد السنية**، عالم الكتب، بيروت.

ـ محمد رواس قلعجي، حامد صادق، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس، الثانية، ١٩٨٨م.

ـ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ)، **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، محمد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ.

ـ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى (ت٦٧٦هـ)، **المجموع شرح المهذب**، دار الفكر. بيروت، د.سنة.

ـ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)، **تهذيب الأسماء واللغات**، ت: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت.

الهوامش

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م، ج٥، ص٢٧٥.

(٢) محمد رواس قلعجي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، الثانية، ١٩٨٨ م، ج١، ص٤٥٥.

(٣) القزويني، مقاييس اللغة، ج٥، ص٣٠٦.

(٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ، ج ١٣، ص٢٠٤.

(٥) قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ج١، ص٤١٩.

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٤، ص٥٠٨.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٥٢٤.

(٨) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة، ٢٠٠٣م، ج٥، ص٤٥١.

(٩) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق (ت٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، ج١، ص٥١.

(١٠) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م، ج٣، ص٥٨.

(١١) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٥١.

(١٢) البيهقي، السنن الكبرى، ج٥، ص٢٨٨.

(١٣) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٤٥.

(١٤) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٣٤٩.

(١٥) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت٤٥٨هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ، ج٢، ص٤٥.

(١٦) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٩٨٨م، ج٢، ص٣٦٥.

(١٧) البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: ٣٧٠١، ج٥، ص٤٥٠.

(١٨) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية، الثالثة، ١٤١٩هـ، ج١، ص٢٣١.

(١٩) الطبري، جامع البيان، ج٣، ص٦٤.

(٢٠) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، ت: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤، ص١٥٦، ج١، ص٣٤.

(٢١) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٢٨١.
(٢٢) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى (ت٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، ج٨، ص٤.
(٢٣) الطبري، جامع البيان، ج٦، ص٢٤.
(٢٤) ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت٢٣٥هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٠٩هـ، رقم الحديث: ١٤١٢٤، ج٣، ص٣٧٢.
(٢٥) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٢٨٠.
(٢٦) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٢٨١.
(٢٧) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٢٨٠.
(٢٨) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٢٨٠.
(٢٩) الطبري، جامع البيان، ج١، ص١٠٨.
(٣٠) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٥٣.
(٣١) الصالحي، محمد بن يوسف الشامي (ت٩٤٢هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ت: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م، ج١، ص١٩٥.
(٣٢) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج١، ص١٩٥.
(٣٣) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج١، ص١٩٥.
(٣٤) النووي، المجموع شرح التهذيب، ج٨، ص٣.
(٣٥) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٢٨٢.
(٣٦) النووي، المجموع شرح المهذب، ج٨، ص٣.
(٣٧) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٢٨٢.
(٣٨) النووي، المجموع شرح المهذب، ج٨، ص٣.
(٣٩) النووي، المجموع شرح المهذب، ج٨، ص٣.
(٤٠) النووي، المجموع شرح المهذب، ج٨، ص٣.
(٤١) النووي، المجموع شرح المهذب، ج٨، ص٣.
(٤٢) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج١، ص١٩٨.
(٤٣) الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٠م، كتاب الهجرة، رقم الحديث: ٤٢٧٠، ج٣، ص٨.
(٤٤) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربي، بيروت، فضل الصلاة في المسجد، رقم الحديث: ١٤٠٦هـ، ج١، ص٤٥١.
(٤٥) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الثانية، ١٩٨٨م، ص٤٤٤.

(٤٦) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ص٢٤.
(٤٧) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ص٣٠.
(٤٨) ينظر: أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي، (ت٨٥٤هـ)، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ت: علاء إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ٢٠٠٤م، ص٢١٦.
(٤٩) ينظر: أبو البقاء، تاريخ مكة، مصدر سابق، ص٢١٧.
(٥٠) ينظر: أبو البقاء، تاريخ مكة، مصدر سابق، ص٢١٨.
(٥١) ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري (ت٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة لابن شبة، ت: فهيم شلتوت، جدة، ١٣٩٩هـ، ج١، ص١٦٢.
(٥٢) ابن شبة، تاريخ المدينة، مصدر سابق، ج١، ص١٦٢.
(٥٣) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري لابن بطال، ت: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الثانية، ٢٠٠٣م، ج٤، ص٥٤٤.
(٥٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٣٥.
(٥٥) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج٤، ص٥٤٤.
(٥٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٠٢.
(٥٧) النووي، المجموع شرح المهذب، ج٨، ص٤.
(٥٨) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٦٧.
(٥٩) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج٤، ص٥٤٤.
(٦٠) الصالحي، سبل الهداية، ج٣، ص٢٨٦.
(٦١) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١١٧.
(٦٢) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٢٨٦.
(٦٣) الصالحي، سبل الهدى والرشاد ج١، ص١٩٦.
(٦٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٥٣.
(٦٥) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٢٩٣.
(٦٦) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٢٩٣.
(٦٧) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٨٦.
(٦٨) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٢٩١.
(٦٩) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢١٨.
(٧٠) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج٨، ص٣٣٢.
(٧١) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٤.
(٧٢) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٢٨٦.
(٧٣) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٢٩٤.

(٧٤) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٢٩٤.
(٧٥) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٣٧٩، ج٢، ص١٠١٢.
(٧٦) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، ت محمد زهير، دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ، باب فضل ما بين قبري ومنبري، رقم الحديث ١١٩٩، ج٢، ص٦١.
(٧٧) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل المدينة، رقم الحديث ٢١٢٩، ج٣، ص٦٧.
(٧٨) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، أحمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، الثانية، ١٩٧٥م، باب ما جاء في دفن النبي ﷺ، رقم الحديث: ١٠١٨، ج٣، ص٣٢٩.
(٧٩) الترمذي، سنن الترمذي، ج٣، ص٣٢٩.
(٨٠) مسلم، صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٣٨٨، ج٢، ص١٠٠٨.
(٨١) مسلم، صحيح مسلم، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، رقم الحديث ١٣٩٣، ج٢، ص١٠١١.
(٨٢) الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، رقم الحديث ٣٢٤، ج٢، ص١٤٥.
(٨٣) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، باب فضل المدينة، رقم الحديث١٨٨٥، ج٣، ص٢٣.
(٨٤) القسطلاني، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٩٢٣هـ)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج٣، ص٦٠٩.
(٨٥) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج ٣، ص١١٢.
(٨٦) الخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (ت١١٠١هـ)، شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ج٣، ص١٠٧.
(٨٧) الخرشي، شرح مختصر خليل، ج٣، ص١٠٧.
(٨٨) شرح صحيح مسلم، النووي، ج٩، ص١٦٣.
(٨٩) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الرابعة، ١٩٩٧م، ج٥، ص١٢٢.
(٩٠) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم (ت٤٦٣هـ)، الدرر في اختصار المغازي والسير، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الثانية، ١٤٠٣هـ، ص٧٥.
(٩١) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ، ج٣، ص٢٦٤.
(٩٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، ح٣، ص٢٦٤.
(٩٣) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، ت: حمدي ابن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الثانية، ١٩٩٤ م، رقم الحديث ٤٤٥٠، ج٤، ص٢٨٨.

(٩٤) ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم (ت٣٨١هـ)، المعجم، ت: عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر، الأولى، ١٩٩٨م، رقم الحديث٤١، ج١، ص٤٣.
(٩٥) القسطلاني، المواهب اللدنية، مصدر سابق، ج٣، ص٦١٥.
(٩٦) القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت٦٨٤هـ)، الفروق، عالم الكتب، د. ط، د. ت، ج٢، ص٢٣٠.
(٩٧) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل ما بين قبري ومنبري، رقم الحديث ١١٩٩، ج٢، ص٦١.
(٩٨) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم القرطبي (ت٤٦٣هـ)، الاستذكار، ت: سالم عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٤٦٣.
(٩٩) القسطلاني، المواهب اللدنية، مصدر سابق، ج٣، ص٦٠٩.
(١٠٠) القسطلاني، المواهب اللدنية، مصدر سابق، ج٣، ص٦٠٩.
(١٠١) القرافي، الفروق، مصدر سابق، ج٢، ص٢٣٠.
(١٠٢) العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت٨٠٦هـ)، طرح التثريب في شرح التقريب، دار الفكر العربي، بيروت، ج٦، ص٥٠.
(١٠٣) القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرون (ت٥٤٤هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، عمان، الثانية، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٢١٣.
(١٠٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، محمد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ، ج١٠، ص٣٥٣.
(١٠٥) الخرشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المالكي (ت١١٠١هـ)، شرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ج٣، ص١٠٧.
(١٠٦) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت١٢٥٠هـ)، نيل الأوطار، عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الأولى، ١٩٩٣م، ج٥، ص٣٦.
(١٠٧) العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت٨٠٦هـ)، طرح التثريب في شرح التقريب، دار الفكر العربي، بيروت، ج٦، ص٥٠.
(١٠٨) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٠، ص٣٥٣.
(١٠٩) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الجنائز، رقم الحديث ١٣٥٦، ج١، ص٥٢١.
(١١٠) البغدادي، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله (ت٣٦٠هـ)، الشريعة، عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، الثانية، ١٩٩٩م، ج٥، ص٢٣٦٩.
(١١١) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٣١٦.
(١١٢) الرحيباني، مصطفى بن سعد بن عبده الحنبلي (ت١٢٤٣هـ)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المكتب الإسلامي، الثانية، ١٩٩٤م، ج٢، ص٣٨٤.
(١١٣) صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٣٧٦، ج٢، ص١٠٠٥.
(١١٤) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٣١٧.

(١١٥) صحيح البخاري، باب مقام النبي ﷺ، رقم الحديث **٣٩٢٦**، ج**٥**، ص**٦٦**.
(١١٦) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج**٣**، ص**٣١٧**.
(١١٧) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج**٣**، ص**٢٩٩**.
(١١٨) سنن الترمذي، باب ما جاء في دفن النبي ﷺ، رقم الحديث ١٠١٨، ج**٣**، ص**٣٢٩**.
(١١٩) الصالحي، سبل الهداية، ج**٣**، ص**٣٠٠**.
(١٢٠) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٨٨٥، ج**٣**، ص**٢٣**.
(١٢١) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج**٣**، ص٦١٤.
(١٢٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٠، ص**٣٤٧**.
(١٢٣) صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث**١٣٧٣**، ج**٢**، ص١٠٠٠.
(١٢٤) الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد (ت١١٢٢هـ)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، الأولى، **١٩٩٦**م، ج١٢، ص**٢٣٨**.
(١٢٥) محمد بن علي بن حسين (١٣٦٧هـ)، تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ص**٢٣٠**.
(١٢٦) القرافي، الفروق، ج٢، ص**٢٣١**.
(١٢٧) صحيح مسلم، فضل المدينة، رقم الحديث ١٣٨٤، ج**٢**، ص١٠٠٦.
(١٢٨) المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج١٠، ص**٣٤٧**.
(١٢٩) مسلم، صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث: ١٣٧٨، ج٢، ص١٠٠٤.
(١٣٠) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج**٣**، ص٦١٧.
(١٣١) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٠، ص**٣٥٠**.
(١٣٢) القرافي، الفروق، ج٢، ص**٢٣١**.
(١٣٣) القرافي، الفروق، ج٢، ص**٢٣١**.
(١٣٤) القرافي، الفروق، ج٢، ص**٢٣١**.
(١٣٥) البخاري، صحيح البخاري، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، رقم الحديث ١٨٧٦، ج**٣**، ص**٢١**.
(١٣٦) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج**٢**، ص١٧٦.
(١٣٧) القرافي، الفروق، ج٢، ص**٢٣١**.
(١٣٨) صحيح مسلم، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، رقم الحديث ١٤٦، ج١، ص١٣١.
(١٣٩) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٠، ص**٣٤٩**.
(١٤٠) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٠، ص**٣٤٨**.
(١٤١) مسلم، صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٣٨٨، ج**٢**، ص١٠٠٨.
(١٤٢) تهذيب الفروق، محمد بن علي، ج٢، ص**٢٣١**.
(١٤٣) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٠، ص**٣٤٩**.
(١٤٤) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج**٩**، ص١٦٣.

(١٤٥) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص٣٠.
(١٤٦) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١٠.
(١٤٧) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الهجرة، رقم الحديث ٤٢٧٠، ج٣، ص٨.
(١٤٨) العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين (ت٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٧، ص٢٥٧.
(١٤٩) نيل الأوطار، الشوكاني، ج٥، ص٣٥.
(١٥٠) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١٣-٦١٤.
(١٥١) نيل الأوطار، الشوكاني، ج٥، ص٣٦.
(١٥٢) صحيح البخاري، باب فضل الصلاة في مسجد مكة، رقم الحديث ١١٩٠، ج٢، ص٦٠، صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث: ١٣٩٤، ج٢، ص١٠١٢.
(١٥٣) الشوكاني، نيل الأوطار، ج٥، ص٣٦.
(١٥٤) القاضي عياض، الشفاء، ج٢، ص٢١١.
(١٥٥) القاضي عياض، الشفاء، ج٢، ص٢١٢.
(١٥٦) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٩، ص١٦٣.
(١٥٧) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٩، ص١٦٣.
(١٥٨) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٩، ص١٦٣.
(١٥٩) العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب، ج٦، ص٥٠.
(١٦٠) العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب، ج٦، ص٤٨.
(١٦١) صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٣٩٥، ج٢، ص١٠١٣.
(١٦٢) القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج٣، ص٦١٤.
(١٦٣) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة الأولى، ٢٠٠١م، رقم الحديث ٢٧٠٩٠، ج٤٥، ص٣٧. حديث حسن.
(١٦٤) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٣١٧.
(١٦٥) صحيح البخاري، باب درجات المجاهدين، رقم الحديث ٢٧٩٠، ج٤، ص١٦.
(١٦٦) ابن حنبل، مسند أحمد، رقم الحديث ٢٢٦٩٥، ج٣٧، ص٣٦٩.
(١٦٧) الزرقاني، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ج١٢، ص٢٣٦.
(١٦٨) العراقي، طرح التثريب، ج٦، ص٥٣.
(١٦٩) البخاري، صحيح البخاري، باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق، رقم الحديث ٦٧٨٥، ج٨، ص١٥٩.
(١٧٠) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٠، ص٣٤٣.
(١٧١) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٠، ص٣٤٧.

(١٧٢) صحيح مسلم، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٣٦٢، ج٢، ص٩٩٢.
(١٧٣) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١٤.
(١٧٤) النووي، شرح المنهاج، ج٩، ص١٣٤.
(١٧٥) ابن القيم، زاد المعاد، ج١، ص٤٨.
(١٧٦) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٩٩٤م، ج١، ص٤٩.
(١٧٧) الترمذي، سنن الترمذي، باب الصلاة في مسجد قباء، رقم الحديث ٣٢٤، ج٢، ص١٤٥.
(١٧٨) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل الخدمة في الغزو، رقم الحديث ٢٨٨٩، ج٤، ص٣٥.
(١٧٩) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١٤.
(١٨٠) ابن القيم، زاد المعاد، ج١، ص٥٠.
(١٨١) ابن القيم، زاد المعاد، ج١، ص٥٠.
(١٨٢) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث ٢٣٥١٩، ج٢٨، ص٥٠٢.
(١٨٣) ابن النَّقيب، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله (ت٧٦٩هـ)، عمدة السالِك وعدة الناسِك، ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الشؤون الدينية، قطر، الأولى، ١٩٨٢م، ص٢٠.
(١٨٤) ابن القيم، زاد المعاد، ج١، ص٥٠.
(١٨٥) ابن القيم، زاد المعاد، ج١، ص٥٠.
(١٨٦) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج٢، ص٢١٣.
(١٨٧) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١١.
(١٨٨) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١١.
(١٨٩) النووي، شرح صحيح مسلم ج٩، ص١٦٣.
(١٩٠) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، الفصول في السيرة، ت: محمد الخطراوي، مؤسسة علوم القرآن، الثالثة، ١٤٠٣هـ، ص٢٩٠.
(١٩١) الخرشي، شرح مختصر خليل للخرشي، ج٣، ص١٠٧.
(١٩٢) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ج٢، ص٦٢٦.
(١٩٣) الرحيباني، مطالب أولي النهى، ج٢، ص٣٨٤.
(١٩٤) الجمل، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري (ت١٢٠٤هـ)، فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب (حاشية الجمل)، دار الفكر، د ط، د ت، ج٢، ص١٤٤.
(١٩٥) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٠، ص٣٤٢.
(١٩٦) الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج١٢، ص٣٥٣.
(١٩٧) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١٢.
(١٩٨) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١٣.
(١٩٩) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد (ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، باب فضل يوم الجمعة، رقم الحديث ١٠٤٧، ج١، ص٢٧٥.

(٢٠٠) مسند أحمد بن حنبل، رقم الحديث ١٦١٦٢، ج٢٦، ص٢٤.

(٢٠١) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١٢.

(٢٠٢) الرحيباني، مطالب أولي النهى، ج٢، ص٣٨٤.

(٢٠٣) سنن الترمذي، باب ما جاء في دفن النبي ﷺ، رقم الحديث ١٠١٨، ج٣، ص٣٢٩.

(٢٠٤) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج٣، ص٦١٣.

(٢٠٥) العدوي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي (ت١١٨٩هـ)، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ج٢، ص٣٦.

(٢٠٦) الطرابلسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت٩٥٤هـ)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، الثالثة، ١٩٩٢م، ج٣، ص٣٤٤.

(٢٠٧) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ج٢، ص٦٢٦.

(٢٠٨) الخرشي، شرح مختصر الخليل، ج٣، ص١٠٧.

تم بحمد الله